آليات الحجاج في نقائض عمر بن لجأ التيمي
دراسة تداولية

✍ إعداد الدكتورة

رضـــا رمضـــان أحـــمد

الأستاذ المساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية جامعة الأزهر

فرع المنصورة

والأستاذ المشارك بكلية العلوم والآداب - جامعة القصيم

بالمملكة العربية السعودية

Email: REDAAKRA71@AZHAR.EDU.EG

(ملخص البحث)

آليات الحجاج في نقائض عمر بن لجأ التيمي "دراسة تداولية"

إعداد الدكتورة /رضا رمضان أحمد

❖ مشكلة البحث :-

إقامة دراسة أدبية نقدية تقوم على عرض آليات حجاجية بأدوات تداولية في نقائض شاعر أموي لم ينل حظه من الشهرة كمعاصريه ، والوقوف على أدواته الحجاجية التي أفحم بها خصمه وفند مزاعمه ، وأدحض حجته بالأسلوب والأفكار تارة ، والصورة والخيال تارة أخرى .

❖ أهمية البحث :-

تتمثل أهمية البحث في كونه دراسة نقدية تطبيقية توضح العلاقة الوثيقة بين الشعر بصورته التخيلية والحجاج بصورته العقلية واتخاذ نقائض ابن لجأ مادة خصبة تمثل أروع ما أنتجته القريحة العربية من الشعر العربي القديم في أزهى معارضه من خلال ما يحتله شعر النقائض من أهمية كبيرة في حقل الدراسات الأدبية و النقدية ، فهى قصائد تتأرجح بين التخيل الشعري والتصديق التاريخي ، وحرص أصحابها على بلوغ الغاية في الجودة والإتقان ، حيث المنافسة التي تدفع إلى بذل الجهد و إثبات الذات ،ومن ثم يعد البحث دراسة نقدية في شعر قديم بمضمون نقدي حديث يقوم على عرض بعض آليات الحجاج والدراسة التداولية .

❖ أهداف البحث :-

يهدف البحث إلى الوقوف على القوانين التداولية التي تحكم النقائض باعتبارها نصوصا فنية تقوم على لغة إيحائية تلميحية وليست تقريرية ، ومن ثم قد تتفق أو تختلف مع القوانين التي توصل إليها البحث التداولي الحديث من خلال الكشف عن نوعية العلاقة الحوارية بين الشاعرين ، والكشف عن الآليات الحجاجية التي اعتمدها الشاعر في الدفاع عن نفسه وقبيلته ، وبيان أدوات الادعاء والاعتراض من خلال إستراتجية البناء أو الهدم التي تكشف عن شخصية المتكلم والمخاطب .

❖ **منهجية البحث :-**

تعتمد الباحثة على المنهج التداولي الحجاجي في نقائض عمر بن لجأ واتخاذها مادة غنية لدراسة آليات الحجاج التي استخدمها الشاعر والتي يثبت من خلالها العلاقة بين الشعر والحجاج باعتبار النقيضة نموذجا شعريا حجاجيا بامتياز ، فيحدث الربط بين الشعر العربي القديم والدراسات النقدية الحديثة أو بمعنى آخر دراسة الشعر القديم بمنظور تداولي حديث.

❖ **أدبيات البحث :**

لم أجد دراسة مماثلة تقوم بدراسة نقائض عمر بن لجأ التيمي دراسة تداولية حجاجية ، وإن تم جمع وتدوين شعره في مخطوطة منتهى الطلب لمحمد بن المبارك ، ثم جمع وتحقيق وتدوين شعره على يد الدكتور: يحيى الجبوري طبعة دار القلم الكويت ، وأيضا ديوان نقائض عمر بن لجأ وجرير للدكتور : نبيل عسّاف طبعة دار صادر – بيروت .

الكلمات المفتاحية : الآليات - الحجاج - النقائض – تداولية.

❖ **Email**: REDAAKRA71@AZHAR.EDU.EG

❖ Research Problem:

The establishment of a literary literary criticism based on the presentation of the mechanisms of the pilgrims with the tools of circulation in the contradictions of an illiterate poet did not enjoy the fame of his contemporaries, and stand on the tools of pilgrims, which angered his opponents and refuted their claims, and refute their argument in style and ideas sometimes, and image and imagination at other tims.

❖ Research Significance:

The importance of the research is that it is an empirical study that demonstrates the close relationship between the poetry in its imaginative form and the pilgrims in its mental form, and the adoption of the son's surrogates, which is the most wonderful thing produced by the Arabic poetry of the ancient Arabic poetry in its most eloquent opposition. And cash, they are poems oscillating between poetic imagination and historical conviction, and the keenness of their owners to achieve the goal in quality and mastery, where the competition to pay for the effort and self-proof, and then the study is critical study in ancient poetry with a modern monetary content based on the mechanisms of pilgrims and study For tradin.

❖ Research Objectives:

The aim of this research is to find out about the deliberative laws that govern derivatives as technical texts that are based on a suggestive and non-declarative language, and may therefore be in accordance with the laws reached by modern deliberative research by revealing the quality of the dialogue between the poets, The poet in defending himself and his tribe, and the statement of the tools of prosecution and objection through the strategy of construction or demolition, which reveal the personality of the speaker and the communicator.

❖ Research Methodology:

The researcher relies on the analytical inductive method in the arguments of Omar Ibn Ghala and taking a rich material to study the mechanisms of

pilgrims used by the poet, which proves the relationship between poetry and pilgrims, With a modern trading perspective.

❖ Research literature :

I did not find a similar study to study the contradictions of Omar bin Laja al- taimi study of the circulation of pilgrims although the collection and codiflcation of poetry in the manuscribt of the ultimate request to Mohamed bin Mubarak and then the collection and investigation and codiflcation of his poetry by Dr-yahya al jubouri edition of the Dar of Qalam Kuwait Dr- Nabel Assaf edition of Dar Sader Beirut

Key words: Mechanisms - pilgrims - antagonisms - deliberative.

Email: REDAAKRA71@AZHAR.EDU.EG

بسم الله الرحمن الرحيم

(المقدمة)

الحمد لله حمداً طيباً مباركاً.....والصلاة والسلام على نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم ... أما بعد :

فمع بزوغ فجر كل يوم ، ومع ضوء كل نهار نُدهش بما يقدمه التراث العربي الأدبي بعطاياه الوفيرة ، التي لا تنفد ، نقلب بين صفحاته ، فنعجب من هؤلاء الذين أينعت على أيديهم تلك الثمار الشعرية ، والنثرية ، والنقدية ، فتركوا بصمة واضحة في صفحات التاريخ الأدبي ، تحكي مجدهم ، وتتحدث عن فكرهم ، وتنقل عبير شعورهم ، وعبق سحرهم .

ومن بين الثمار اليانعة ، تلك التي فاح عبيرها في ظلال العصر الأموي ، وعلى يد شعراء كبار خلّد لهم التاريخ الأدبي صنيعهم ، وأثنى على ما قدموه من شعر له سمات واضحة ، أُطلق عليه شعر "النقائض "الذي نما ، وترعرع بسقيا كل من : جرير ، والفرزدق ، والأخطل .

والحقُ أنه كان هناك شعراء فاعلون ، مساهمون في تطور هذا الفن الشعري وبشكل غير مسبوق ، كانوا معاصرين لهؤلاء الثلاثة ، بل مشاركين معهم في رفع هذا البنيان : أمثال الراعي النميري ، والبعيث ، وعمر بن لجأ ، هذا الأخير الذي ارتبط الحديث عنه بالحديث عن جرير، فقد اشتعلت بينهما حرب هجائية ضروس تم روايتها ، ثم تدوينها في مصادر التاريخ الأدبي ، تحكى ما دار بينهما من نقائض تحتوي على معان ، وأفكار ، وأساليب تلقي بظلالها على تلك الفترة التاريخية الأدبية .

ودائما يتصدر جرير ، والفرزدق ، والأخطل مشهد الحديث عن النقائض ، بينما غيرهم لم ينل نفس الاهتمام ، وإن كانت نقائضهم لا تقل فناً ، وأسلوباً عنهم ، مما كان دافعاً لدراسة شعر هؤلاء الذين شاركوا ، وتفاعلوا مع شعر النقائض ولم ينل شعرهم الاهتمام نفسه من النقاد وغيرهم .

من هؤلاء عمر بن لجأ التيمي ، الذي دوّن شعره في مخطوطة " منتهى الطلب في أشعار العرب " التي جمعها محمد بن المبارك بن ميمون ، وبلغ عدد أبياته سبعمائة واثنين وعشرين بيتا ما بين نقض لهجاء جرير أو هجاء لجرير، موزعة على عشر قصائد طوال موثقة ، منها ست قصائد نقضاً ورداً على قصائد لجرير في هجائه عمر بن لجأ عدد أبياتها ثلثمائة وستة وخمسون بيتاً .

وفي عام ١٩٧٦م أصدر الدكتور يحيى الجبوري كتاباً بعنوان " شعر عمر بن لجأ التيمي " اعتمد فيه على تحقيق ماورد من شعر عمر في مخطوطة منتهى الطلب ، وأُلحق به ما ورد من شعر في غيرها مما يُنسب لعمر وغيره من الشعراء أشرفت على طباعته دار القلم بالكويت ، فكان أول جامع لشعر ابن لجأ في ديوان يحمل اسم الشاعر ، إلا أن طبعته رديئة ، والخط المدون به سيئ للغاية ، وليس فيه بيان لكثير من معاني المفردات باستثناء التنبيه على نسب بعض القبائل ، والأشخاص ، والأيام التي ورد ذكرها في القصائد .

وفي سنة ٢٠١٥م قام دكتور نبيل عسّاف بإصدار الطبعة الأولى من " ديوان نقائض عمر بن لجأ وجرير "أشرفت على طباعته دار صادر، حاول فيه تصحيح بعض الأخطاء اللغوية الواردة فيما جمعه الدكتور الجبوري من شعر عمر بن لجأ ، مع إضافة هامش للكشف عن بعض معاني المفردات الواردة في القصائد ، وفي الحقيقة إن عنونة الكتاب بهذا العنوان فيه بعض الخلل ؛ ذلك أن من يقرأ العنوان يظن أن الكتاب يحتوي على شعر عمر وجرير ، لكن الأمر مختلف ، فقد اقتصر فيه د عسّاف على شعر عمر فقط أو بمعنى آخر ما قاله عمر من شعر في جرير هجاءً ، أو نقضاً لما قاله جرير في عمر، ولكن لابد أن نعترف بما فيه من جهد مبذول ، خاصة في تصويب الأخطاء اللغوية ، وتوضيح لكثير من معاني المفردات في الهامش .

ولابد من نسبة الفضل لأهله فقد قام د/ الجبوري ، ود/ عسّاف بمجهود يحمد لهما ، في وصول هذا النتاج الأدبي الضخم إلى أيدي الباحثين ، والدارسين ، حتى يتمكنوا من دراسة هذا الشعر ، وتلك القصائد التي تستحق بذل الجهد ، والطاقة لكشف ما بها من أسرار لغوية ، وأدبية ، وبلاغية .

من هنا كانت نقطة البدء ، فعكفت على دراسة نقائض عمر في رده على هجاء جرير، وبالطبع ألزمتني تلك الدراسة الوقوف على قصائد جرير في هجاء عمر فيما كان سببا لرد عمر ونقضه لتلك القصائد ، دون البحث في تلك القصائد التي هجا فيها جرير عمرَ ولم ينقضها عمر، وجدير بالذكر أني لم أعثر على نقائض لعمر في غير شعر جرير سواء فيما جمعه د/ جبوري من شعر عمر، أو ما جمعه د/ عسّاف في نقائضه ، فنقائض عمر مقصورة على ما قيل في الرد على هجاء جرير وحسب .

وأصبح لابد من اختيار المنهج الذي تسير على خطاه الدراسة ، وحبذا لو أن هذا المنهج من المناهج النقدية الحديثة التي تساعد من خلال تطبيق أسسها في الربط بين التراث الأدبي في صورته الزاهية ، والدراسات الحديثة بإضافاتها المتجددة ، فكان الاختيار لدراسة المقاربة التداولية في شكلها الحجاجي فاعتمدت في تحليل النقائض على المنهج التداولي الحجاجي ، فإذا بدراسة نقائض عمر لقصائد جرير تستحيل خلقاً جديداً ، تكشف عن طريقة جديدة في التناول ، وبعث حديث للتراث الشعري .

ولا أخفي على القارئ ، فقد كانت الدراسة جد شاقة ، تحتاج جهداً ، وصبراً ، فشعر النقائض يمثل أفضل ما أنتجته القريحة العربية في زمنها ، يضاف إلى ذلك أن شعر عمر بن لجأ شعر جزل فيه كثير من ألفاظ البادية ، وصورها غير المألوفة ، يضاف إلى ذلك أيضا ما يستخدمه التداوليون وأصحاب الدراسات الحجاجية من مصطلحات مترجمة غير كاشفة في كثير من الأحيان عن مقصودها اللغوي والأدبي والنقدي.

وتجنباً للتكرار في دراسة النقائض فقد درست في المبحث الأول نقيضة لعمر ردا على قصيدة لجرير دراسة مفصلة مبينة الأساليب الحجاجية المستخدمة فيها ، رداً على الأساليب التي استخدمها جرير؛ لأضع بين يديّ القارئ صورة كاملة لقصيدة جرير ، والرد عليها من جانب عمر ، ثم قمت بدراسة باقي النقائض مقتصرة على أهم المعاني الهجائية ، والأساليب الحجاجية المستخدمة فيها ، مع الإحالة إلى غيرها من النقائض التي تناولت ذات المعاني المتناولة فيها ، حتى لا تكون الدراسة دربا من التكرار لا فائدة منه .

ومما لاشك فيه أن تناولي بعض الأساليب الحجاجية لدى الشاعرين قصدت من خلاله إخضاع هذه الأساليب للمنظور الحجاجي ، فالتشبيه أو الاستعارة أوالكناية ، وغيرها من الصور البيانية ليست مقصودة لذاتها ، وإنما يُنظر إليها ، ويتم دراستها في البحث من خلال ما تقوم به من دور تداولي حجاجي ، وكذلك الحال في دراسة بعض الأساليب اللغوية كاستخدام الشاعر للفعل المضارع أو الماضي ، أو صيغة البناء للمجهول ، يُنظر إليها في البحث من خلال بُعدها الحجاجي ، ودورها في إقامة الحجة ، والدليل من المتكلم للمخاطب.

ولاشك أن الدراسات السابقة كانت خير عون في إنجاز هذا البحث وفي مقدمتها:

- شعر عمر بن لجأ التيمي – د/ يحيى الجبوري
- ديوان نقائض عمر بن لجأ وجرير – د/ نبيل عسّاف
- الحجاج في شعر النقائض – دراسة تداولية – اقتصرت فيه الباحثة على نقيضتين فقط الأولى لجرير والأخرى للفرزدق – أنموذجا – إعداد : مكلي شامة
- صورة المهجو في شعر النقائض- لؤي موفق
- الأفعال الكلامية ووظائفها التداولية – محمد راضي محمد
- التداولية أصولها واتجاهاتها – جواد ختام
- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام – د/ طه عبد الرحمن
- الخطاب في شعر النقائض – نقائض جرير والفرزدق دراسة تداولية- جبارية مصطفاوي .

من خلال تحليل نقائض عمر بن لجأ ، والوقوف على الآليات الحجاجية المستخدمة فيها ، وعن طريق الاستضاءة بالدراسات السابقة أصبح

البحث يعالج مشكلة قائمة من خلال دراسة نقائض عمر بن لجأ لشعر جرير من وجهة نظر تداولية حجاجية ، وعليه تم وضع خطة البحث كالآتي :

- مقدمة : تناولت فيها المشكلة التي يعالجها البحث ، وبعض الدراسات السابقة التي تم الاستعانة بها في ثنايا البحث ، والمنهج المتبع فيه ، وخطة عرض مادته العلمية.

- تصدير : تناولت فيه حياة الشاعر وعصره وكذا إضاءة عن علاقة شعر النقائض بالدرس التداولي الحجاجي .

- المبحث الأول : فيه دراسة مفصلة للمعاني المتناولة في قصيدة " لقد هتف الحمام" لجرير، ونقيضة " لمن منزل بالمستراح" لعمر بن لجأ ، والأساليب الحجاجية والمقاربة التداولية التي من خلالها تم توضيح تلك المعاني .

- المبحث الثاني : دراسة لقصيدة " أهاج البرق ليلة أذرعات " لجرير ، ونقيضة " أجد القلب هجراً" لعمر بن لجأ وإبراز أهم المعاني الواردة فيهما وهي : " العبودية" ، والوقوف على الأساليب الحجاجية التي اعتمد عليها الشاعران لإيضاح هذا المعنى .

- المبحث الثالث : دراسة لقصيدة "ألا زارت وأهل منى هجود" لجرير ، ونقيضة " ألآب الهم إذ نام الرقود " لابن لجأ ، وبيان لأظهر المعاني فيهما وهو: "اللؤم"، والأساليب الحجاجية التداولية التي كشفت عنه .

- المبحث الرابع : وفيه دراسة لقصيدة " أتنسى يوم حومل والدّخول " لجرير ، ونقيضة " ألم تُلمم على الطلل المُحيل " لابن لجأ ، ومن خلال دراستهما تبين الوقوف على أكثر المعاني فيهما اهتماما من ابن لجأ في الرد على هجاء جريروهو : "عدم الدفاع عن الأعراض ، وسب ّ النساء " ، والأساليب الحجاجية والتداولية المستخدمة فيهما .

- المبحث الخامس : تم عرض ما تميزت به قصيدة " هاج الهوى وضمير الحاجة الذكر " لجرير ، في مقابل نقيضة " نبئت كلب كليب قد

عوى جزعاً " لابن لجأ ، وعرضهما لمعنى" التخويف بما حدث للآخرين " والأساليب الحجاجية التي كشفت عنه .

- المبحث السادس : عرضت من خلال دراستي فيه الوقوف على الأساليب الحجاجية المستخدمة في قصيدة " ألا إنما تيم لعمرو ومالك" لجرير، ونقيضة " أمن دمنةٍ بالماتحيّ عرفتها " لعمربن لجأ بتحديد أكثر معانيهما وضوحا ، واهتماما من الشاعرين ألا وهى : نفي المروءة ، والشهامة العربية ، وعدم الكرامة .

ثمّ خاتمة أوجزت فيها نتائج البحث ، وتوصياته ، أتبعتها بفهرست للمصادر والمراجع التي تم الاستعانة بها في البحث .

والله أسأل أن ينفعني بما كتبت ، وأن ينفع به غيري ، ويكون عونا لهؤلاء الذين يريدون استكمال المسيرة ، بدراسات لاحقة تدعم نفس الطريق بخطى ثابتة ، تحصد ثمرة أدبية يانعة .

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى جامعة القصيم ممثلة في عمادة البحث العلمي ؛ لدعم مشروع هذا البحث ضمن المنح الصغيرة المستدامة التي تقدمها للباحثين ؛ لتشجيع حركة البحث العلمي ، ودفعها نحو التطور ، والنهوض بالمسار البحثي .

Also extend my sincere thanks to the university of qaseem represented in the dean of scientiflc research support the project this search within grants small sustainable provided by researchers to encourage the movement of scientiflc research paid to the development and advancement approach research

(تصدير)

*الشاعر وعصره ، وعلاقة شعر النقائض بالدرس التداولي الحجاجي :

أولاً: الشاعر:

بالرجوع إلى كتب التراجم ومصادر التاريخ الأدبي لم نقف على ما يُلقي الضوء على سيرة حياة الشاعر سوى سطور تناقلتها بعض المصادر والمراجع فهو : عمر بن الأشعث بن لجأ بن حذيفة بن مصاد بن ربيعة التيمي ، والتيم قبيلة عمر من الرّباب .[1]

ولا تقدم المصادر معلومات عن التيم ، غير ومضات على خلاف في الحديث عنهم فمنهم من قال : إنها قبيلة ليست بذات شأن فقد كانوا على كثرتهم أهل شاء وحمير [2]بينما ذهب بعضهم إلى أنهم كانوا رؤساء في الجاهلية مستندين إلى ما قاله عمر مخاطبا جرير :

لا تهجُ ضبّة يا جريرُ فإنهم قتلوا من الرؤساء ما لم تقتل[3]

ولكن الشائع غير ذلك فتذكر لنا بعض كتب التاريخ الأدبي أن "الرّباب" في جاهليتهم انطلقوا إلى أهل اليمن فحالفوهم ، ونزلوا عندهم ، ودانوا لهم بالولاء

---

١ - راجع في التعريف بالشاعر :
- منتهى الطلب من أشعار العرب – محمد بن مبارك – تحقيق محمد نبيل طريفي – ط دار صادر – بيروت – لبنان – ٧/ ٢٤٣
- طبقات فحول الشعراء – ابن سلام الجمحي – تحقيق د/ محمود شاكر – ط- مطبعة المدني – القاهرة ٥٨٣/٢
- الشعر والشعراء – ابن قتيبة الدينوري – تحقيق د/ مفيد قميحة – ط - دار الكتب العلمية – بيروت ٢/ ٥٧٠
- الأعلام – الزركلي – ط دار العلم للملايين – بيروت – لبنان ٥٩/٥
- شعر عمر بن لجأ التيمي – د/ يحيى الجبوري – ط دار القلم – الكويت – ط الثالثة – ١٤٠٣-١٩٨٣ص ٧ وما بعدها
- ديوان نقائض عمر بن لجأ وجرير – تحقيق د نبيل عساف – ط – دار صادر – بيروت – ط الأولى ٢٠١٥ص ٥ وما بعدها
٢ - شعر عمر بن لجأ التيمي – د يحيى جبوري ص ٧
٣ - مقالة لفالح حجية – شعر عمر بن لجأ – موقع الشبكة العنكبوتية

إلى أن نزل عندهم بعض أهل اليمن فلم يحسنوا ضيافتهم ، وأساءوا وفادتهم ، فذكروا ما فُعل بهم لملكهم ، فغضب وبعث إلى التيم من جدع منهم خمسة وعشرين من سراتهم ، ونكّل بهم ، وأهانهم ، وكانوا أصحاب شاء وحمير فلم يستطيعوا براحا ، فأقاموا وأقروا بالذل ، وعلمت تميم بما حدث لهم فاستنفروا لنجدتهم ، وندبوا إليهم بني حنظلة ، وبني سعد فانتقموا من سُراة اليمن ونصروا التيم [1]، وما كان ذلك منهم إلا لقرابة تجمع بينهم كما قال د عسّاف " والتيم عمّ تميم "[2]

ولا يُذكر عمر بن لجأ إلا بذكر جرير فارتبط ذكره بذكره ، وما تم جمعه من شعره موقوف على ما قاله في الرد على جرير، أو ما قاله في هجاء جرير ، وربما كانت له قصائد في موضوعات أخرى لكنها ضاعت فيما ضاع من الشعر العربي ، وكان اهتمام جامعي الأشعار موجّهاً إلى النقائض[3] بعينها لمكانتها الأدبية ، والتاريخية في حياة العرب .

أما عن سبب بداية التهاجي بينهما ففيه روايتان : الأولى وهي الأشهر، ذلك عندما ذهب جامع الصدقات إلى التيم فأنشده عمر بن لجأ أبياتاً ، وبعد أن انتهى منها قال له جامع الصدقات : إنها لجرير ، فأنكر عمر بشدة ، وأنه لا حاجة له لأن يدّعي شعر جرير ، فنقل جامع الصدقات الخبر لجرير، واتهمه بسرقة الأبيات من عمر ، فغضب جرير ، وبيّن أنه لا يحتاج لسرقة شعر عمر، وأنشد أبياتا في هجاء عمر وقومه ، فأجابه عمر ، وهجا جرير وقومه فنشب الهجاء بينهما إلى أن توسطت القبيلتان للصلح بينهما ، وتعاهدوا على عدم الرجوع

---

١ - ديوان نقائض عمر بن لجأ وجرير – ص ٩

٢ - المصدر السابق ص ٨ حيث قال : والتيم عم تميم ، فقد كان لأد بن طابخة : مُر بن أد ، ومنه تميم ، وضبة بن أد ، ومنه بنو سعد بن ضبة ، وفيهم العقب ، وعمرو بن أد، ومنه عثمان وأوس ، وأمهما مزينة بنت كلب بن وبرة ، فنسب ولدها إليها .

٣ - النقيضة :النقض الهدم من نقض البناء هدمه ، وهي أن يتوجه الشاعر بقصيدة يهجو بها شاعرا آخر ، ويسخر منه ومن قبيلته ، ويفخر بنفسه وقومه ، وبما لهم من أمجاد ومكانة ، فيجيبه الشاعر الآخر بقصيدة وغالبا ما تكون القصيدة الثانية على وزن القصيدة الأولى ، وعلى القافية نفسها ناقضا كثيرا مما جاء به الشاعر الأول من معان وصور مضيفا إليها فخرا وهجاء – تاريخ النقائض في الشعر العربي – د/ أحمد الشايب ط مكتبة النهضة المصرية ط الثانية ١٩٥٤ص٢- وأيضا صورة المهجو في شعر النقائض – لؤي موفق – رسالة ماجستير – جامعة جرش – كلية الآداب ٢٠١٥ص ١٦٠

للهجاء ، فكف التيمي وكان جرير لايزال يسُل الواحدة فيقول التيمي : والله ما نقضت هذه ولا سمعتها فيقول جرير : هذه كانت قبل الصلح .[١]والرواية الأخرى مفادها أن جريراً نقد شعرا لعمر ، فإذا بعمر ينقد شعرا لجرير، فتحاكما إلى عبيد العنبري ، فحكم لعمر، فهجا جرير عبيدا ، فدافع عمر عن عبيد فنشب الهجاء بينهما .[٢]

وقد حط جرير من قيمة عمر وقومه اجتماعيا ، وذلك عندما سأله ابنه قائلا : قلت لأبي : يا أبتِ ما هجوتَ قوما قط إلا أفسدتهم سوى التيم ، فقال : إني لم أجد حسبا أضعه ولا بناء أهدمه ، أو يقول عنهم : إنهم شعراء لئام [٣]، كما يُروى لجرير قوله : لقد هجوت التيم في ثلاث كلمات ما هجا فيهن شاعر شاعراً قبلي قلت :

من الأصلاب ينزل لؤم تيمٍ وفي الأرحام يُخلقُ والمشيمِ[٤]

أما عن علاقة عمر بالفرزدق فيُجملها ابن سلام في قوله : " واعلم أن الفرزدق في أول تهاجي جرير وابن لجأ غضب لجرير وحمى أنفه أن يتعلق به التيمي فمن أجل ذلك أراد ابن لجأ أن يرفق بالفرزدق حتى يكون له لا عليه وكذلك كان بعد"[٥]

وهذا ما أكد عليه الإصبهاني عندما قال : " ... وكان الفرزدق قد أنف لجرير وحمى من أن يتعلق به التيمي "[٦] ولا شك أن مناصرة الفرزدق لعمر كانت غُصة في حلق جرير فيروي الإصبهاني لجرير قوله – بعدما أنشده عمر شعراً

١- طبقات فحول الشعراء – ابن سلام الجمحي – ١/ ٤٣٤ وشعر عمر بن لجأ التيمي – ص ٨ وما بعدها
٢ - الأغاني – الإصبهاني – تحقيق إبراهيم الإبياري – ط- دار الكتب – مصر ٨/ص ٢٨١٦ وديوان نقائض عمر بن لجأ وجرير – ص ٦
٣ - طبقات فحول الشعراء – ابن سلام الجمحي – ٤٣٥/١ و الأغاني ٢٨٢٤/٨
٤ - الأغاني – ٨ / ٢٧٥١- وشرح ديوان جرير- ص ٦٣٣
٥ - طبقات فحول الشعراء – ٥٨٩/٢
٦ - الأغاني – ٨/ ٢٨٢٣

لـه قـال جريـر " والله لهـذا البيـت أحـبّ إلـيّ مـن بكْـري خـرزة ولكنـك مُجْلـبٌ للفرزدق "[1] أي : معينا له .

وضع ابن سلّام عمرَ في الطبقة الرابعة من شعراء الإسلام وهم : نهشل بن حري [2]،وحميد بن ثور [3]، والأشهب بن رميلة[4] ،وعمر بن لجأ[5]

واشتهر عن عمر قوله لأحد الشعراء : أنا أشعر منك ، قال: وبمَ ذلك؟ فقال : لأني أقول البيت وأخاه ، وأنت تقول البيت ، وابن عمه .[6]وهذا يعني " أن شعره يتوافر على الانسجام والتماسك أي : أن شعره يشكل نسيجا واحدا ، وهذا من أهم سمات الشعر الجيد "[7]، وقال عنه الجاحظ : إنه من الشعراء القلائل الذين يجمعون بين الرجز والقصيد .[8]بينما قال عنه الأصمعي : "وأنعت الناس لمجلوب في القصيد الراعي وأنعتهم في الرجز عمر بن لجأ "[9]

ويضيف ابن سلام بأن أفراد التيم كانوا يساعدون عمر في قول الشعر فيرفدونه بأبيات يستعين بها على هجاء جرير حيث قال " وكانت تيم رعاءَ غنم، فيغدون

١ - المصدر السابق ٨/ ٢٨١٦
٢ - نهشل بن حري : بن ضمرة بن ضمرة يرتفع نسبه إلى دارم من تميم ، كان أبوه شاعرا مذكورا- طبقات فحول الشعراء ٥٨٣/٢
٣ - حميد بن ثور :الهلالي العامري من شاعر مخضرم قضى الشطر الأكبر من حياته في الإسلام – طبقات فحول الشعراء – ابن سلام الجمحي ٤٣٥/١
٤ - الأشهب بن رميلة :ابن ثور بن أبي حارثة أدرك الإسلام وأسلم من قوم كثرت أموالهم وعزوا – معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين – د/ عفيف عبد الرحمن –ط- دار العلوم ١٩٨٣
٥ - طبقات فحول الشعراء – ١/ ٤٣٥
٦ - الشعر والشعراء – ٩٠/١
٧ - الألفاظ الدالة على الطبيعة السماوية في شعر عمر بن لجأ التيمي – دراسة معجمية –د/ محسن حسين – مجلة التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية – جامعة بابل – العدد ٢٢- ٢٠١٥
٨ - البيان والتبيين – تحقيق – د/ عبد السلام هارون ط- مكتبة الخانجي – مصر ٢٠٩/١
٩ - فحولة الشعراء – تحقيق – توري – صلاح الدين المنجد ط- دار الكتاب الجديد ص ٣٦

ثم يروحون ، وقد جاء كل رجل منهم بأبياتٍ ، فيرفدون بها عمر بن لجأ وكان أشعرهم "[١]

ويحتل شعر عمر عند أهل اللغة مكانة كبيرة ، فاستدلوا بشعره في الشواهد اللغوية فقد احتج بشعره الخليل [٢]، وكذا أبو زيد الأنصاري [٣]

ومازلت حياة عمر يكتنفها كثير من الغموض ، فقد كان الاهتمام بشعره أكثر من الاهتمام بشخصه وسيرة حياته " وشعره ذو أهمية كبيرة ؛ لكونه يدخل في عصر الاحتجاج ، ولم ينل حقه من العناية لدى العامة وأكثر الخاصة "[٤]

أما عن وفاته فقد ذكر الزركلي أن وفاته كانت بالأهواز سنة ١٠٥ هجرية ، وهذا التاريخ غير دقيق ، ذلك أن جريراً توفي سنة ١١٤ هجرية ، وتحكي لنا كتب التاريخ الأدبي أن الوليد بن عبد الملك(٨٦- ٩٦) هجرية دخل المدينة المنورة وكان ذلك في سنة ٩٣هجرية ، وأمر بضرب كل من عمر، وجرير ، حتى يرجعا عن الهجاء ، وكان جرير حينئذ شيخا بينما كان عمر شابا .[٥]، وفي النهاية نجد نقائض ، وقصائد خلّد بها الشاعر ذكره ، سجّلت معركة شعرية طاحنة دارت رحاها بينه ، وبين جرير[٦].

ثانيا : عصر الشاعر :

لم تعرف منطقة العراق مع بداية العصر الأموي(٤١- ١٣٢) هجرية ، هدوءاً ، أو استقرارًا منذ اليوم الأول لقيام الدولة الأموية ، وربما من قبل قيامها بقليل ؛ فقد كانت مستقَرا للتشيّع ورجاله الذين ما إن علت أصواتهم إلا انقض

١ - طبقات فحول الشعراء – ١/ ٤٣٥
٢ - العين- تحقيق د/ مهدي المخزومي – إبراهيم السامرائي – ط- دار ومكتبة الهلال - ١٢٥/٤
٣ - النوادر في اللغة – تحقيق – د/ محمد عبد القادر أحمد –ط- دار الشروق –ط- الأولى ط- ٥١٣
٤ - الألفاظ الدالة على الطبيعة السماوية في شعر عمر بن لجأ – د/ محسن حسين
٥ - طبقات فحول الشعراء – ابن سلام الجمحي ١/ ٤٣٤- و الأغاني ٨/ ص ٢٨٢٨- وتاريخ الأدب العربي – العصر الإسلامي – د / شوقي ضيف – ط دار المعارف – مصر ص ٢٧٩
٦ - شرح ديوان جرير – إيليا الحاوي ص٦ وما بعدها ، وفيه تحليلا نفسيا رائعا عن جرير ومؤثراته الخاصة وطوابعها في شعره .

عليهم الأمويون مفرقين جمعهم ؛ ليسكتوا أصواتهم بما دفع بعضهم إلى حياة الزهد ، وترك الأمر برمته إلى الله في الآخرة ، أو الانغماس في حياة اللهو والمتعة ، أو البحث عن ملاذ آخر يملأ حياة الفراغ التي عاشها بعض أطياف العرب آنذاك ، و مع وجود القبائل ذات العراقة بدأ أفرادها يبحثون في ماضيهم ، ويتباهون بأمجادهم على غيرهم ، فسرعان ما تحولت المفاخرات ، والمنافرات حرباً هجائية حامية تطورت ، وأخذت شكلا أدبيا مميزا أُطلق عليه" شعر النقائض ".

للهجاء مكانة كبيرة في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي ، وللشاعر الهجّاء قيمته بين أقرانه خشية من هجائه ، واتقاء شر لسانه في مجتمع يتمسك بأصوله ، وأعراقه ، ويعرف ما للقصائد من أثر في المجتمع ؛ لأنها بمثابة الأبواق الإعلامية المهمة في حياتهم ، وما إن جاء الإسلام تحول الهجاء على يد شعراء الدعوة الإسلامية إلى هجاء المعتقد ، والرمي بالكفر ، فكانت قصائدهم أشبه بالنقائض بشكل غير معقد ، وذلك في ردهم على شعراء الكفر من المشركين .

ثم جاء العصر الأموي ، وعلى يد ثلاثة من الشعراء الكبار (جرير اليربوعي التميمي – والفرزدق الدارمي التميمي – والأخطل التغلبي) تطورت قصيدة الهجاء إلى نقائض عاشت في حياتهم ، وماتت – أو كادت – بعد موتهم ، ويُجْملُ أحد النقاد الكبار حياة قصيدة النقائض في سطور قال فيها: " ...لذلك رأينا هذا الفن ينشأ في حظيرة الشعر الجاهلي طفلا يحبو ، ثم تستقيم قدماه فينمو سريعا حتى نراه شابا قويا ولاسيما في ظلال السيوف، وبين الأيام ، فلما جاء الإسلام ظفر به فنا موطّأ الأكناف ، كثير الأبواب ، فاستغله في سبيل دولته ، حتى إذا جاء الأمويون أشعلوا نارا موقدة كانت في نزعتها رجعة جاهلية عاصفة في ظل الدولة الإسلامية "[1]

على أن هناك عوامل سياسية ، واجتماعية في العصر الأموي جعلت من النقائض طابعا مميزا ، فبات اللهو ، والتسلية الدافع الرئيس منها " وبدأ الشعر بأخذ منحى آخر ، ظهر بتصوير فكاهي لحركة العصبية ، وإنشاء مسرحيات

١ - تاريخ النقائض في الشعر العربي – ص ٢

ومواقف يتلهى بها الشعب "[1]فأصبحت النقائض صورة للهجاء بوجهه الساخر المضحك " فالنقائض هي تحول الهجاء من غايته الجادة إلى غاية المتعة ، وسد حاجات الجماعة ، وإضفاء المرح على مجالس الأمراء وما إلى ذلك "[2]ومما لاشك فيه أن جانب المنافسة بين الشعراء كان سببا رئيسا لرقي هذا الفن من الناحية الأدبية ؛ فاجتهد شعراؤه في التجويد والتحبير ، وكذا حِرْص الجمهور على الحضور ، والنظر فيمن تكون له الغلبة على الآخر وكان سوق المربد مسرحا لهذه المبارزة الشعرية فتعد النقائض " من أرقى فنون الشعر في العصر الأموي ، فقد كانت ظاهرة أدبية مميزة حيث مثّلتْ لونا من ألوان الصراع الأدبي بين الشعراء "[3] ومن أجل هذا الصراع فالنقائض " أدب صعب ، ولكنه محبب إلى النفوس ، فهو إلى متعته الفنية ذو فائدة في الكشف عن تاريخ الأدب ، وتاريخ الحياة الأموية ، وبخاصة في بيئة النقائض في العراق ، وفي البصرة على وجه التحديد حيث المربد سوق الشعر الكبير "[4]

ثالثا: علاقة النقائض بالدرس الحجاجي والتداولي :

الشاعر في قصيدة الهجاء يضع نصب عينه المهجو ، ويستشعر وجوده معه ؛ فما صنع تلك القصيدة إلا من أجله محفزا إياه للرد عليها ؛ ولذا تجده يدعم قوله بالأدلة ، والبراهين التي تثبت صحة ما ذهب إليه ، فإذا بالمهجو يدرس تلك الأدلة ، ويحاول تفنيدها ، أو بمعنى آخر هدمها ، وقلبها على صاحبها ، فتعد النقيضة خطابا حجاجيا كاملا[5] حيث يقوم الشاعر بدراسة قصيدة خصمه ، ودراسة الأدلة التي يواجهه بها ، ومن خلالها يحقق إسقاطه اجتماعيا ، ثم يقوم بالرد على كل دليل بما يهدمه ، وبذلك تقوم النقائض على إستراتيجيتين مهمتين في الحجاج : الأولى إستراتيجية البناء ، والأخرى

١ - صورة المهجو في شعر النقائض- ص ٢٨،٢٩
٢ - البعد البلاغي في شعر جرير الهجائي – دراسة بلاغية نقدية –د/ عبد الكريم حسين بحث مجلة جامعة حضرموت العدد الأول يناير ٢٠١٣ص٣٩
٣ - الحجاج في شعر النقائض- دراسة تداولية – مكلي شامة – ماجستير – كلية الآداب والعلوم الإنسانية الجزائر ٢٠٠٩ص٥
٤ - شعر عمر بن لجأ التيمي – يحيى الجبوري ص ٣
٥ - الحجاج – درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات ، وأن تزيد درجة ذلك التسليم – في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات – د/ عبد الله صولة ط- الشركة التونسية ص١٣

إستراتيجية الهدم ، فالشاعر في النقيضة يبني لنفسه ولقومه مجدا ، ويهدم في الجانب الآخر ما يعتقد فيه الشاعر الثاني فخرا وشرفا ، أو بمعنى آخر تُبنى النقائض على توظيف إستراتيجيتين خطابيتين : الأولى : الإستراتيجية التضامنية ، فالشاعر يفخر بقومه ويدخل في الفخر ضمنا فخره بنفسه ، والأخرى الإستراتيجية التوجيهية ، وهي تلك الرغبة الأكيدة من الشاعر في الاستعلاء على خصمه ، والتفوق عليه .[١]

كما يلاحظ أن الشاعر الأول عندما نظم قصيدته تصور ردة فعل المهجو تجاه كلامه فصاغ على إثر ذلك خطابه ، وتلك مرتبة عالية في التفاعل الحواري ، وهو ما يسمى لدى التداوليين بالفعل التأثيري.

ويرى بعض الباحثين أن للنقائض علاقة بالمناظرة [٢]، وأن النقائض صنف من الخطاب يتخذ من المناظرة منهجا له .[٣] لكن ، إذا حاولنا تطبيق أصول المناظرة ، وشرطها ، وأخلاقياتها ، نجد كثيرا منها لا ينطبق وما تم إنجازه في النقائض ، فمن أخلاقيات المناظرة [٤]:

أ- أن يكون المتناظران متقاربين معرفة ومكانة ، حتى لا يؤدي استعظام أحدهما الآخر أو استحقاره له (وهذا مفقود تماما في النقائض التي تبنى على المفاخرة والاستعلاء .

ب- أن يتجنب المناظر الإساءة إلى خصمه بالقول ، أو بالفعل بغية إضعافه عن القيام بحجته ، والسخرية منه ، وتخجيله بفضح عيوبه ، والتطاول عليه بالتنقيص والشتم (وهذا ما يعمد إليه الشاعر في النقائض عمدا)

١ - الحجاج في شعر النقائض – مكلي شامة – ص ٤٦ بتصرف يسير .
٢ - المناظرة : النظر من جانبين في مسألة من المسائل قصد إظهار الصواب فيها – في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ص ٤٦
٣ - المرجع السابق ص ٦٩
٤ - المرجع السابق ص ٧٤وما بعدها بتصرف شديد

فمن أي وجه يمكن عد النقائض مناظرة ؟ وهي تفتقد أهم الدعائم التي تقوم عليها المناظرة ، فهي أقرب ما يكون للدرس الحجاجي التداولي[١] .

" وحدّ الحجاج أنه فعالية تداولية جدلية ، فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي ، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ، ومطالب إخبارية ، وتوجهات ظرفية ....، وهو أيضا جدلي لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع ، وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة "[٢]

ففي النقائض مخاطب ، ومتكلم ، ولغة ، وسياق ، فالمتكلم لدية مجموعة من الأدوات التي يحسن استغلالها لتحقيق هدفه ، وهو إسقاط الخصم ، وجمع ما يمكن من صور الحقارة والاستهزاء ورميه وقبيلته بها مع إضافة بعض أنواع السباب والشتم ، وهتك الأعراض ، وفضح المحارم ، وفي المقابل مخاطب تم إثارة حفيظته ، وغضبه بما دفعه للرد على المتكلم بنفس الحدة ، أو تزيد ، وهدم كل مكرُمة تغنى بها ، وتذكيره بمثالب ، ومعايب قومه ، وكلاهما (المتكلم والمخاطب) يستخدم من ألفاظ اللغة ، وأساليبها ، وصورها وأخيلتها وسيلة لإظهار التفوق ، لكسب تأييد المتلقي سامعا كان أم قارئا ، ومحاولة إقناعه بما يقول ، مبتعدا عن الكذب قدر المستطاع ، وهو المسمى في الدرس التداولي بمبدأ الكيف ، وكذا لابد أن يكون الكلام واضحا غير مبهم ، وهو المسمى بمبدأ

١ - التداولية : دراسة استعمال اللغة في الخطاب ، ودراسة الإشارات النوعية التي تثبت وظيفتها الخاطبية في اللغة – دراسة مقاصد المتكلم – أو بمعنى آخر دراسة كيف يكون للمقولات معان في المقامات الخطابية ، والتداولية تعني البراجماتية ،وقد وضع د/ طه عبد الرحمن التداولية مصطلحا عربيا مقابلا للبراجماتية ، وذلك أن التداولية مستوى لساني خاص يُعنى بدراسة اللغة في علاقتها بالسياق المرجعي لعملية التخاطب ، وبالأفراد الذين تجري بينهم تلك العملية التواصلية ، وفي المنهج التداولي راجع :
- التداولية أصولها واتجاهاتها – جواد ختام – ط- كنوز المعرفة –ط الأولى ٢٠١٦- عمان الأردن ص١٧وما بعدها
- التداولية والشعر – قراءة في شعر المديح في العصر العباسي د/ عبد الله بيرم ط- دار مجدلاوي – عمان الأردن ط الأولى ٢٠١٤ص ٢٥ وما بعدها
- محاضرة التداولية – أ عموري السعيد – بحث بجامعة بجاية – الجزائر ص ٢ وما بعدها
٢ - في أصول الحوار وتجديد علم الكلام – ص ٦٥

المناسبة ، وأن تكون المفردات على قدر المعنى دون زيادة أو نقصان ، وهو المسمى بمبدأ الكم .[١]

وجدير بالذكر أن التداولية تضرب بجذورها في التاريخ النقدي العربي ، وإن لم تستخدم مصطلحات المقاربات التداولية الحديثة ، إلا أنها تقترب كثيرا من المفهوم والتطبيق، فالبلاغة عند علماء العرب الإيجاز ، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال ، ويتناقلون فيما بينهم " خير الكلام ما قلّ ودلّ " و" لكلّ مقام مقال " و" ليناسب مقالك مقامك " ، وما ذاك كله إلا بعض من الأسس التي تقوم عليها الدراسات التداولية .

١- راجع : محاضرة التداولية – عموري السعيد ص٤

المبحث الأول :

قال جرير في هجاء عمر بن لجأ :

لقد هتفَ اليومَ الحمامُ ليُطربا وعنّى طِلابُ الغانياتِ وشَيّبا

وأجمَعنَ منكَ النّفرَ من غير رِيبَةٍ كما ذَعَرَ الرّامي بفيحانَ* ربْرَبا*

عَجبْتُ لما يَفري الهوى يومَ مَنعِجٍ ويوماً بأعلى عاقلٍ كان أعْجبَا

وأحببتُ أهلَ الغَورِ من حُبِ ذي فناً وأحببتُ سُلمانَينَ من حبِ زينبا

يُحيّونَ هنداً ، والحِجابانِ دونها بنفسيَ أهلٌ أن تُحيّا وتُحجَبا

تذكّرتَ والذكرى تَهيجُكَ واعترى خيالٌ بمَوماةٍ* حراجيجَ* لُغّبا*[1]

بدأ جرير قصيدته بالحديث عما يعانيه العاشق من مشقة حب الغانيات ، وأن وصلهن موصول بالشيب ، وهن ينفرن منه ، كما تنفر البقر الوحشي من الصائد ، بينما قلبه معلق بالديار من أجل ساكنيها ، وصاحبته التي تتوارى خلف الحُجبِ أدبا وحياءً ،وحقيقٌ لها ذلك ، وما ذاك كله إلا لأن الذكرى أثارت مكامن نفسه ، وهو يجوب الصحراء بتلك الناقة الطويلة الضامرة .

بينما بدأ عمر نقيضته بقوله :

لِمن منزلٌ بالمُستَراح* كأنّما تَجَلّل* بعد الحولِ والحولِ مُذهَبا*

بهِ ذَرَفتْ عيناكَ لمّا عرَفتَهُ وكيف طِبَابيْ* عيّنٍ قد تسرّبا*

فلم أرَ منها غيرَسُفْعٍ* مَواثِلٍ* وغيرَ رمادٍ كالحمامة أكْهبا*

---

١ - شرح ديوان جرير ص ٢٧ * الربرب : قطيع البقر الحشي * فيحان : اسم مكان * موماة : صحراء قاحلة * حراجيج : ناقة طويلة * لغبا : ضامرة – لسان العرب – ابن منظور المصري – ط- دار صادر بيروت

تهادى* بهِ هُوجُ* الرّياح تهاديا ويهدينَ جَولانَ* التّرابِ المهذّبا*
نَسَفن* ترابَ الأرضِ من كلّ جانبٍ مُنخَرقٍ* كانت بهِ الريحُ نَيْسبا*
وكلِّ سماكيّ* يجُولُ ربابُهُ* مَرَتْهُ* الصّبا* في الدّجْن* حتى تَحَلّبا*
إذا ما علا غُوْرِيّهُ* أرْزَمَتْ* بهِ توالٍ* مَتالٍ* مُخّضٍ* فتحَدّبا
أغَرّ* الذُّرى* جَوْزُ الغِفارَة* وابلٌ* ترى الماء من عُثْنُونهِ* قد تصَبّبا
مضى فانقضى عيشٌ بذي الرّمْثِ* صالحٌ وعيشٌ بحزْوى* قبلهُ كان أعجبا
ليالي يدْعُوني الصّبا* فأُجيبهُ إلى البيضِ* تُكْسى الحضْرَميّ *المُصلّبا*
نواعمَ* يسبينَ الغَويّ *وما سَبى لهنّ قُلوبا إذ دنا وتخلّبا *
وصوّرهنّ اللهُ أحسنَ صورةٍ ولاقْينَ عيشا بالنعيمِ تربّبا*
عِراضَ القطا* غُر* الثنايا كأنّها مها الرّمْلِ* في غُرّ من الظلِ أهْدبا*
قَصارَ الخُطى تمشي الهُوينا إذا مشتْ دبيبَ القَطا* بالرّملِ يُحسبنَ لُعّبا*
إذا ما خشين البينَ والبينُ رائعٌ تواعَدْن بين الحيّ والحيّ ملْعَبا
خرجنَ عِشاءً والتقين كما الْتَقى مها ربربٍ لاقى بفيحانَ* ربربا
قَصَرْنَ حديثا بينهن مُقَبّراً* وكلُ لكلٍ قال أهلا ومرحبا
رقيقٌ كمسِ الخزّ *في غير رِيبةٍ ولا تابعٍ زوْرَ الحديثِ المُكذّبا
خِذَالَ* الشّوَى* لمْ تدرِ ما بؤسَ عِيْشِةٍ ولم ترَ بيتا من كليْبٍ مُطَنّبا*[1]

١- ديوان نقائض عمر بن لجأ وجرير ص ٥٢ وما بعدها * المستراح : اسم مكان * تجلل : تغطى * المذاهب : جلود تجعل فيها خطوط فيرى بعضها في إثر بعض * طبابي : علاجي * تسرب : سال * غير سفع : الأثفية الحجر الذي يوضع عليه القدر * المواثل : القائم المنتصب * الأكهب : الكهبة : لون ليس بخالص في الحمرة * تهادى : تدافعت * الهوج : الريح الشديدة * الجولان : التراب والحصى * المهذب: المنقى * نسفن : سلبته * المنخرق : مهب الريح * النيسب : الطريق المسدق كطريق النمل والحية * =

بدأ عمر نقيضته بالحديث عن الأطلال متأثرا بما أصابها من التغير ، والتحول فبكاها بدمع غزير حزنا ، وكمدا على ما أصابها فقد غيرت الرياح ، والأمطار معالمها ، وباتت قفر موحشة ، تتحرك فيها الرمال يمينا ، ويسارا ، إنها أيام مضت ، ومضت معها الذكريات العذبة ، أما اليوم فهو مدعو من البيض الحسان اللواتي يأخذن بالعقول ، ويأسرن القلوب حيث اللهو والغواية ، وقد صورهن الله في أحسن صورة ، عيونهن تشبه أعين المها في روعة النظرة، وجمال اللفتة ، وما أجمل لباسهن الذي يعكس نعومة عيشهن .

ومن خلال ما سبق يتضح الآتي :

أ- بدأ جرير بحديث العشق ، مصورا معاناة العاشق في وصل الحسناوات ' بينما بدأ عمر بالحديث عن الطلول الدوارس ، والرياح ، والأمطار ،التي غيرت معالمها ، فأصبحت أثراً بعد عين .

ب- يصف جرير تلك النسوة اللاتي ينفرن منه ، بينما جعل عمر اللهو والصبا يدعوانه إلى الغواية .

ج- يكتفي جرير بوصف محبوبته بأنها تتوارى خلف الحجب حياء ، بينما عمر وصف صويحباته بنعومة العيش ، ورغده .

=السماكي: نجم من منازل القمر * الرباب : السحاب الذي ركب بعضه بعضا * مرته الصبا : أنزلت منه المطر * الصبا ريح الشمال الباردة * الدجن : المطر الكثير * تحلبا : سال * علا غوريه : أي السحاب * الغور : المنخفض * أزرمت : حنت وصوتت *المتالي : التي يتلوها أولادها * المخض : التي دنا ولادتها * الأغر : الأبيض * الذرى : ذروة كل شيئ أعلاه * جوز الغفارة : السحابة فوق السحابة * الوابل : المطر الشديد الضخم * عثانين : ما تدلى من هيدبها * ذو الرمث : اسم واد لبني أسد * حزوى : موضع بنجد * البيض : النساء الكريمات * الحضرمي : الثياب المنسوبة إلى حضرموت * الثوب المصلب : الذي فيه نقش أمثال الصلبان * يسبين الغوي : يأسرنه ويذهبن بعقله * تخلب: خدع * تربب : تربى في النعيم * القطا: العجز * المها : البقرة الوحشية * الظل الأهدب: الطويل الذي يغطي كثير * القطا : ضرب من الطير * اللغب : التعبة * فيحان : موضع لبني سعد * مقبرا : مخفيا * الخز : ضرب من الثياب الناعمة * الخذال : العظيمة الممتلئة * الشوى : الأطراف * المطنب : الحبال

د- المعاني التي تناولها جرير ، وحديث الحمام الذي يحرك بهديله مكامن الذكرى ، والصحراء والناقة ... معان مكررة ، يترسم فيها خُطى السابقين .

ه- معاني عمر ، وإن بدت مألوفة ، إلا أن طريقة تناوله لها بدت وكأنها شيء جديد- وإن كان حديث الطلل الدارس مكرراً- استوحى معظمها من البيئة الصحراوية الوعرة فألقت تلك الصور على الألفاظ خشونة ، وصعوبة لا تتفق وطبيعة الغزل ، بينما جرير ألفاظه سهلة هينة لينة تكشف عن نفس تشبهها .

استخدم جرير الأفعال التعبيرية [1] التي اتضح من خلالها درجة العاطفة ؛ فهو يريد أن يضم حبيبته بين جناحيه ، وأن يفديها بنفسه " بنفسي أهل أن تحيا وتحجبا " و" تذكرتَ والذكرى تهيجك" فجرد من نفسه إنسانا يتحدث إليه فإذا به متكلم ، ومخاطب في ذات الوقت ، كما استخدم الإشاريات الزمانية عندما ذكر يوم " منعج " و"يوم وادي عاقل " الذي يحمل أيضا إشاريات مكانية [2] ، وبالمثل استخدم عمر أفعالا تعبيرية تفصح عن مكنون نفسه ، وحزنها على ما حدث للطلل " به ذرفت عيناك لما عرفته "و" تهادى به هوج الرياح " " و" مضى فانقضى عيش " بينما يشعرك بإحساس مغاير حيث السعادة عند لقاء الغانيات " يدعوني الصبا فأجيبه " و" نواعم يسبين الغوي " و" صورهن الله أحسن صورة " كما استخدم الإشاريات المكانية التي تعكس مدى ارتباطه بالمكان " المستراح " " ذي رمث " " فيحان"

و- اكتفى جرير في عرض معانيه بالحديث عن العشق والهوى، وتلك النسوة اللاتي ينفرن منه في ستة أبيات ، بينما أفاض عمر في الحديث حتى تسعة عشر بيتا.

---

١ - الأفعال التعبيرية : كل الأساليب ، والعبارات التي يعبر بها المتكلم عن مشاعره – الخطاب في شعر النقائض – نقائض جرير والفرزدق – دراسة تداولية – ماجستير – إعداد – جبارية مصطفاوي – كلية الآداب جامعة محمد خيضر-الجزائر – ٢٠١٦ص ١٧

٢ - الإشاريات المكانية :أماكن يذكرها على علم بها وكذا المخاطب – المرجع السابق ص ١٣

بدأ جرير هجاءه لعمر بقوله :

لئن سكنت تيمٌ زمانا بعزةٍ لقد حُدَيت* تيمٌ حُداءً عَصَبْصبا*[1]

في حين بدأ عمر نقض هجاء جرير بقوله :

تغنّى جريرٌ بالرّباب ِ سفاهةً وقد ذاق َ أيام َ الرّباب*ِ فجرّبا[2]

استخدم جرير مقابلة بين حالين ، حال العزة ، وحال الذل ، ويلاحظ استخدامه المؤكد " إن " والمعنى : إن حدث وصادفت "تيم "عِزة في ماضيها فقد حُديت.....، واستخدم حرف التحقيق "قد" ليؤكد حدوث الفعل ، وأنهم كالبهائم يساقون بالعصا ، فالمعنى الأول " لئن سكنت تيم زمانا بعزة " يُفهم منه أنهم حازوا في بعض زمانهم على عِزة ، فظاهره يحتمل المدح إلا أن في باطنه ذماً ، وقدحاً ؛ لأنه على سبيل الفرض ، والتقدير لا على سبيل الحقيقة المؤكدة بدليل استخدامه " إن " واستخدم الفعل الماضي" سكنت – حُديت " ؛ ليهدم ماضيهم ، وتاريخهم ، فوافق بذلك الاستلزام الحواري[3] بقصده شيئا وتعبيره بشيء آخر .

١ - شرح ديوان جرير – ص ٢٨*حديت : تساق بالعصى * عصبصبا: الشديد

٢ - ديوان نقائض عمر بن لجأ وجرير ص ٥٤* الرّباب : قبائل الرباب ، وهي ، التيم وعدي وعوف وثور وأشيب ، وسموا بالرباب لأنهم تحالفوا مع بني عمهم ضبة على بني عمهم تميم بم مُر فغمسوا أيديهم في الرب ثم خرجت عنهم ضبة ، واكتفت بعددها وبقى سائرهم

٣ - الاستلزام الحواري : الاختلاف بين ما يقال وما يقصد ، فما يقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية ، وما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر اعتمادا على أن السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال – الخطاب في شعر النقائض – نقائض جرير والفرزدق – دراسة تداولية – جبارية مصطفاوي ص ١٦

كما يُلاحظ تكرار ذِكر " تيم " ، وفي تكرار أسماء الأشخاص ، أو القبائل بُعد حجاجي تأكيدا على إلحاق الخزي والعار بالتيم في ماضيهم وحاضرهم ، بتطبيق الإستراتيجية التوجيهية[1] من جرير إلى عمر فهو المَعْنيّ بالخطاب دون غيره .

جعل عمر الفعلين الماضين " تغنّى " و " ذاق " مقابل استخدام جرير " سكنت " و " حُديت " محددا الدافع من التغني وهو " سفاهة " أي إنما ذكرهم جرير وعاب في حقهم جهلا منه وسفها ، وما كان دافعه سفاهة ، فهو مردود بطبيعة الحال ، وغير مكترث به ، وخص الرّباب دون التيم ؛ ليجمع عداوات القبائل كلها ، ويثير حفيظتهم ، مستخدما حرف التحقيق " قد " وكلامه صادق لا شك ، فهو يتحدث عن أيام لاشك فيها ، فهي أفعال إخبارية يستند إليها الشاعر إحالة إلى التاريخ الذي لا ينكره أحد .

ثم انتقل جرير إلى الفخر، بمن لهم عليه أياد من أجداده حيث قال :

لقد مدني عمروٌ وزيدٌ [2]من الثرى بأكثر مما عند تيمٍ وأطيبا

فأكد حصوله على الفضل ، والفخر من عمرو ، وزيد بحرف التحقيق ، وهنا لمحة حيث أراد جرير هجاء التيم فمدحهم ضمناً ؛ ذلك أنه استخدم أفعل التفضيل " أكثر" و" أطيب" فالمعنى أن تيماً لهم الكثير ، والطيب ، وجرير أكثر وأطيب ، فمن قال إن الكثرة ، والطيب لا تكفيان للمدح ؟ وهذا ما نبه عليه حازم القرطاجنّي عندما قال في باب " طرق العلم بما ينقسم إليه الشعر بحسب اختلاف أنحاء التخاطب " بعدم مراعاة الكلام لمقتضى الحال[3] وسماه التداوليون الاستلزام الحواري.

---

١ - الإستراتيجية التوجيهية : رغبة الشاعر في الاستعلاء على خصمه والتفوق عليه – الحجاج في شعر النقائض – دراسة تداولية – مكلي شامة ص ٤٦

٢ - يقصد بزيد : زيد مناة بن مُرة التيمي جده الأكبر .

٣ - منهاج البلغاء وسراج الأدباء – تحقيق – محمد الخواجة –ط- دار الغرب الإسلامي – بيروت ص ٣٤٤

ويعمد جرير إلى ما هو معروف من عادات العرب سبيلا للقدح ، والتحقير، فيصف التيم بأنهم لا يردون الماء صفوا بل يشربونه كدرا ؛ ذلك لتأخرهم في الشراب لتأخر منزلتهم ، والتقدم في الشراب يعني في عُرفهم التقدم في المكانة والمنزلة وهو ما تغنى به عمرو بن كلثوم ، وعدّه فخرا ، وتباهيا :

ونشرب إن وردنا الماء صفوا ويشرب غيرنا كدرا وطينا [1]

فقال جرير في موقف مغاير مصورا إبل التيم لا تتقدم للشراب لعجز أصحابها عن توفير حبل يشدون به دلوهم ، فتظل إبلهم دون شراب :

إذا اعترَك الأورادُ يا تيمُ لم تجدْ عِنَاجاً *ولا حبلا بدلوكَ مُكْرَبا[2]

فألحق بالتيم ذلاً وعارا ، فإبلهم تتأخر ؛ لتأخر منزلتهم . في الوقت ذاته لا تجد من يُقدمُ لها السقيا ؛ لأن أصحابها يعانون فقرا مدقعاً لا يُمكنهم من امتلاك حبل في دلو يرفعون به الماء ، مستخدما في تفعيل تلك الصورة أسلوب الشرط ، وأداته فأشبهت المقدمة النتيجة المترتبة عليها ، ومعتمدا على الإشاريات الشخصية[3] باستخدامه أداة النداء " يا " تخصيصا للتيم بالحديث دون غيرهم ، وتوجيها للخطاب لهم دون سواهم

نقض عمر هذا المعنى وزاد عليه حيث قال :

هُمُ منعوا منكَ المياهَ فلم تجدْ لجحشِكَ إلا بالمَصيقَةِ* مَشْربا[4]

فزاد على معنى جرير، بأن جعلهم أصحاب حمير وجحاش مبالغة في وصفهم بالذل والحقارة ، ومنعهم من ورود الماء أصلا ، وفيما يبدو أن "المصيقة" ماء

١ - ديوان عمرو بن كلثوم - ط- دار صادر – بيروت ص ٧٠
٢ - * عناجا: العناج زمام البعير ،وأيضا حبل يشد تحت الدلو ، ويتصل طرفاه من أعلاها بما يتصل به آذانها – لسان العرب
٣ - الإشاريات الشخصية : الإشاريات الدالة على المتكلم وحده دون غيره مثل " أنا – نحن – واو الجماعة –" وكذا الدالة على المخاطب دون غيره " الكاف – هم – يا ... " – الخطاب في شعر النقائض ص ١٢
٤ - ديوان نقائض عمر بن لجأ وجرير- ص ٥٧* المصيقة : اسم ماء

لا يرده الشرفاء ، أو ماء عفن آسن ، وذلك مشربهم ، ولم يشأ أن يجعل لهم حمارا بل جعل لهم جحشاً مبالغة في التحقير والمهانة .

أراد جرير أن ينفي عن التيم كل نباهة وشأن فقال :

وما تعرفون الشمس إلا لغيركمْ ولا من منيرات الكواكب كوكبا

فاستخدم الكناية ، وجعل طريقه النفي والاستثناء ، فالنباهة والشأن لغيرهم مؤكدا ذات المعنى في الشطر الثاني بشكل أكثر شمولية ، والتكرار لا يكون في اللفظ فقط ، وإنما في المعنى أيضا وللتكرار بُعد حجاجي ، فنفى عنهم كل مكرمة ليلا ونهارا ، وإن عَرفوا نباهة فهي ليست لهم[1] ، فعرض جرير المعنى بأكثر من طريق :

أ- النفي والاستثناء .

ب- التكرار المعنوي .

ت- الكناية ولازم المعنى المقصود الذي يعد بمثابة الدليل العقلي على صحة ما ذهب إليه .

تناول عمر هذا المعنى ، وقلبه على صاحبه ، وزاد عليه حيث قال :

لنا مرقبٌ* عند السماءِ عليكمُ فلستُ بلاقٍ فوق ذلك مرْقَبا

وبدرُ السماواتِ العُلى ونُجُومُها عَلونَ فلن تستطيعَ منهُن كوكبا

هناك ابن يربوعٍ علونا عليكمُ وأصبحتَ فقعا *بالبلاط *مُتَرّبا*

١ - عن أهمية التكرار الفظي ، والمعنوي ، ودورهما الحجاجي راجع :الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه –د/ سامية الدريدي –ط- عالم الكتب الحديثة – الأردن – ص ١٦٨ وما بعدها

تُريحُ* تلادَ* المجدِ وسْطَ بيوتِنا إذا ما ابنُ يربوعٍ عن المجد أعْزبا*[1]

استخدم عمر مجموعة من الأساليب الحجاجية لنقض معنى جرير هي :

أ- في قوله " لنا مرقب " أسلوب قصر طريقه التقديم ، للتخصيص ، والتأكيد على علو المكانة ، ورفعة الشأن ، وهو ما يسمى لدى التداوليين " الأدلة التقنية "[2]أي المقننة لخدمة المعنى " إن الشاعر وهو يقدم ويؤخر لا يهتم بحالات الجواز، والوجوب كما يقررها النحو ، وهو حين يتخير الاعتماد على تركيب الاستثناء أو الشرط أو الحصر لا يفعل ذلك مكرها ، ولا يأتيه حذفه اتفاقا بل يعمد إلى التركيب المحدد دون سائر التراكيب ؛ لأنه يلتمس فيه قدرة على استمالة المتلقي والفعل فيه ."[3]

ب- في قوله : بدر السماوات العلى ونجومها .....استخدم عمر الصورة التشبيهية فشبه قومه بنجوم السماء رفعة وشأنا ، فكانت الصفة الجامعة بين الطرفين بمثابة الدليل المُؤكّد للمعنى ، فأضحت دليلا حجاجيا ، ووسيلة للإقناع ، وهذا ما أشار إليه النقاد القدامى عندما قال أحدهم :" اعلم أن التشبيه مما اتفق العقلاء على شرف قدره ،.....وإن كان حجاجا كان برهانه أنور ، وسلطانه أقهر ، وبيانه أبهر "[4]

ت- في قوله : هناك ابن يربوعٍ علونا عليكم ....استخدم اسم الإشارة للبعيد ؛ ليؤكد رفعة الشأن معتمدا على ما يفيده اسم الإشارة من الإشاريات المكانية التي يعرفها المتكلم ، والمخاطب .

---

١ - ديوان نقائض عمربن لجأ وجرير - * المرقب : مكان المراقبة ويقصد المنزلة العالية * الفقع : ضرب من أردأ الكمأة * البلاط الأرض المستوية * المترب : المطروح في التراب * تريح : تستريح * تلاد : المجد القديم * العازب : البعيد

٢ - الحجاج في شعر النقائض – دراسة تداولية – ص ١٠١

٣ - الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه – ص ١٠٩

٤ - التلخيص في علوم البلاغة – الخطيب القذويني – شرحه الأديب – عبد الرحمن البرقوقي – ط- دار الكتاب العربي – بيروت ص ٢٣٨

ث- قوله : ابن يربوع ..... قصدا لتوجيه الخطاب لجرير ، وقومه دون غيرهم تخصيصا لتحقيرهم ، ويؤكد نفس الاتجاه باستخدامه " كاف الخطاب – عليكم –"

ج- الصورة الساخرة في قوله : وأصبحت فقعا بالبلاط متربا ، فقد جرى في عُرف العرب أن الفقع يشبّه به الرجل الذليل ، ولم يكتف عمر بذلك بل جعله بالبلاط متربا ، فبدا غضب الشاعر واضحا من تأكيد المعنى ، والإصرار عليه ، فزاد شعوره ، وظهر أثره في الصورة ، أما جرير فكان دافعه الشعوري أقل ، هو الرغبة في الهجاء .

ح- في قوله : تريح تلاد المجد وسط بيوتنا .....استخدم الصورة الاستعارية ، فصور المجد إنساناً يتأتي منه النزول والراحة بالمكان ، فقدم الدليل على صدق معناه . ذلك أن " من أتقن أصلا واحدا من علم البيان ، كأصل التشبيه ، والكناية ، والاستعارة ، ووقف على كيفية مساقه لتحصيل المطلوب به ، أطلعه ذلك على كيفية نظم الدليل "[1] فالاستعارة من أكثر الوسائل تأثيرا في نفس المتلقي ولها قدرة هائلة على استمالة النفس " لذلك عُدت من التقنيات الحجاجية الفعالة في الخطاب ، للعبها هذا الدور ببراعة "[2]

الاستعارة تخبئ في جعبتها تشبيها ولا تصرح به فتثير المتلقي ذهنيا ، ونفسيا ، ومن ثمّ تقنعه بالمعنى المراد ، الذي يحقق المقصود ؛ ذلك أنها قائمة على الادعاء ، هذا الادعاء يجعل من المستعار منه ، والمستعار له جنسا ثالثا بفعل الخيال ، فيصير المستحيل ممكنا عن طريق الخيال ، فتتلاشى المسافة بينهما عن طريق التوهم ، فتكون النتيجة إثبات رفعة الشأن له ولقومه ، والعكس في حق جرير، معتمدا في توضيح المعنى على الإشاريات الاجتماعية ، بما يعرفه المتكلم ، والمخاطب من الوضع الاجتماعي لهما ، والحقيقة أن كلا الشاعرين – كما تروي لنا كتب التاريخ الأدبي – كان وضعهما الاجتماعي مزريا ، وخاصة في

١ - مفتاح العلوم – السكاكي – ط- دار الكتب العلمية – بيروت ص ١٨٢
٢ - الآليات الحجاجية في المعلقات – معلقتا عمرو بن كلثوم ،وزهير بن أبي سُلمى أنموذجا – رسالة ماجستير – هناء لبيهي – كلية الآداب الجزائر ص ٥٢

شأن جرير قولا واحد ، أما عمر فيشفع له ما تناقلته بعض المصادر من أنهم كانوا قوة حربية ضارية في الجاهلية [١].

خ- فخر جرير على عمر وذكّره بما لبني سعد عليهم من أيادٍ[٢] ، فقال :

فإن لنا عمراً وسعداً عليكمُ وقَمْقَامَ* زيدٍ والصريحَ *المُهذّبا [٣]

فنقض عمر قول جرير السابق ، وقلبه على صاحبه فقال :

تخطّى بسعدٍ والسعودُ لغيره ولم يُغنهم من دونه من تأشّبا*

ثلاثةَ أبواعٍ* أبوكمْ يَعُدّه تميمٌ ويَعْتَدّون بكرا وتَغْلِبا

وسعدٌ بغيرِابنِ المراغةِ* نصْرها إذا هتفَ الدّاعي* بسعدٍ وثَوّبا

ونحن لسعدٍ مِغْلَبٌ غير خاذِلٍ وسعدٌ لنا أمْستْ على النّاس مِغْلَبا

لهم هامةٌ* غَلْبَاءُ* ما تستطِيعُها نمت في قُراسيّ* من العِزّ أغْلَبا[٤]

همُ القومُ مهما يُدركوا منك يَطْلبوا وإن طَلَبوكم لم تجدْ لك مَطْلبا

١ - راجع البحث ص ٧
٢ - فقد كانت لبني سعد أياد علهم ؛ فقد كانوا سببا في تخليصهم من ما لحق بهم من ذل على يد اليمنيين – راجع ديوان نقائض عمر بن لجأ وجرير ص ٩ وما بعدها .
٣ - شرح ديوان جرير ص ٢٨ * القمقام : السيد الجامع للسيادة الواسع للخير * الصريح : الخالص النسب – لسان العرب
٤ - ديوان نقائض عمر بن لجأ وجرير ص ٥٦* تأشب القوم : اختلطوا واجتمعوا * الأبواع : السعة في المكارم * المراغة : الأتان التي لا تمتنع من الفحول ، وبذلك لقب الأخطل أم جرير ،وقيل لأن كليبا أصحاب حُمُر * ثوب الداعي : ثنّى بدعوته * غلباء : عزيزة * القراسي : الضخم العظيم .

فاعتمد عمر في نقض المعنى على مجموعة من أساليب الحجاج هي:

١- ذكر مجموعة من أسماء الأشخاص ، والقبائل المعروفة بالنباهة والشأن فمدح فيهم الشجاعة ، والكرم ، والجميع يعرف قدرهم ، ولا ينكره (إشاريات إخبارية)

٢- مخاطبة جرير بكنية أمه بكل ما تحمل من معنى الخزي ، والعار (إشاريات شخصية)

٣- استخدم مجموعة من الضمائر التي تساعد على الخطاب الموجّه

(إشاريات شخصية) والضمائر تعطي صيغة تركيزية تتجه للمقصود مباشرة دون غيره .

٤- استخدم أسلوب الالتفات ؛ للفت النظر ، وشحذ الذهن ، وتنبيه المخاطب لما يُلقى إليه فقال : هم القوم مهما يدركوا منك يطلبوا ... ، والأصل أن يقول : هم القوم مهما يطلبوا منك يدركوا .

٥- استخدم جملة الاعتراض ؛ لإظهار العجز في قوله " ما تستطيعها " تأكيدا لإظهار العجز.

٦- استخدم " التناص الحجاجي "[١] حيث أخذ نفس التعبير ، وقلبه على صاحبه " الصريح المهذّبا ".

د- استخدم جرير الثناء بمعناه المعروف في غير مقصده حيث قال :

سأثني على تيمٍ بما لايسُرّها إذا أركُبٌ وافوا بنعمانَ أرْكبا

١ - التناص الحجاجي : علاقة النص الحالي بنصوص أخرى تشابهه وتتفق معه في كثير من الأحيان ، والهدف من ذلك هو إنتاج النص الأدبي من نصوص أخرى سابقة لتوليد دلالات جديدة بالتفاعل والتشابك مع النصوص الأخرى ، فالشاعر هنا يأخذ من الأخر ما يستفيد منه كدليل ، وحجة يستعين بها على خصمه – الحجاج في شعر النقائض – ص ٩٥

هذه الصيغة مقصودة من الشاعر فهي أشبه بقوله تعالى " فبشرهم بعذاب أليم " [1] حيث البشارة تكون بما يسُر ولا يسوء ، واستخدم الشاعر الثناء بما لا يسرّ ، وحدد جرير مكان الهجاء ، أو ما يُطلق عليه الثناء " بوادي نعمان " (إشاريات مكانية) وهو مقصود أيضا حيث يجتمع الناس ويشتهر الهجاء ، فيصاب التيم بالخزي ، والعار ، هذا الأسلوب الذي سلكه جرير من باب " الاستلزام الحواري " كما استخدم أسلوب الاعتراض ببعده الحجاجي في قوله : " بما لا يسرها " ؛ ذلك أن الاعتراض " من لوازم الادعاء ، ودليل على الفاعلية الحجاجية بين الطرفين "[2]

ذ- تناول عمر نفس المعنى محتفظا بصيغة التهكم والسخرية قائلا :

تغنّى جرير بالرّبابِ سفاهةً وقد ذاقَ أيامَ الرّبابِ فجرّبا

فأطلق على الهجاء غناء مؤكدا قصده من الهجاء بقوله " سفاهة " مشيرا إلى ما صنع بجرير ، وقبيلته في الماضي بقوله : وقد ذاق أيام .....(إشاريات إخبارية) بالإحالة إلى أحداث سابقة .

ر- تناول عمر الطعن في رجال يربوع أولئك الذين لا يستطيعون الدفاع عن نسائهم فقال :

ولمّا لَقيتَ التيمَ يومَ بُزاخَةٍ ورهطَ أبي شَهْمٍ وقومَ ابن أصْهَبا

نَزَوْتَ* عليها بعدما شُدّ حبْلُها ولمْ يُلْصقِ القومُ العِقالَ المُؤَرّبا*

رأيتُك بالأجْزعِ* فوقَ بُزاخَةٍ هرَبْتَ وخِفْتَ الزّاعبيّ* المُذرّبا*

فلم تنجُ منها إذ هربتَ ولم يجد أبٌ لك عن دار المذلّةِ مهْربا

١ - سورة أل عمران جزء آية رقم ٢١
٢٢ - الحجاج في شعر النقائض – مكلي شامة – ص ١١٣

فإن التي تُحدى* ويُسْبى رجالُها نساءُ بني يربوعَ شَلا* عَصبصبا*

دعتْ يالَ يربوعٍ فلم يَلْحَقوا بها ولم يكُ يربوعٌ أبوهُنَ أنجَبا

جبُنتَ ولم تضرب بسيفكَ مُغضَبا* لؤمتَ إذا لم تُنْهلِ* السيفَ مُغضبا

وكيف طلابُ المُردَفاتِ* عشيّةً وقد جاوز الشيخُ الغميمَ* ويثربا [1]

فقدم عمر مجموعة من الأساليب الحجاجية ليدعم بها حديثه ، ويُلحق الخزي والعار بجرير ، وقومه :

١- استخدم الحجاج غير التَّقَني بذكره أياماً ، وأشخاصا ارتبط ذكرهم بذكرها

٢- ضمّن البيت الأول استفهاما ، جاءت الإجابة عنه في البيت الثاني ، فكان ذلك سببا في شحذ ذهن المخاطب "بالافتراض المسبق "[2]، وإنما كان الاستفهام افتراضا مسبقا ؛ لأنه يساهم في تحويل العلاقات بين المتخاطبين ، يفرض واجبات ، ويضع حقوقا ، ويوزع الأدوار بين المشاركين .

٣- استخدم عمر مجموعة من الأفعال ، التي تعطي دلالة على التحقير ، والاستهزاء : " نزوت – هربت – خِفت – تُحْدَى – جَبُنت " أفعالا إخبارية يخبر بها عن حالة ، وهيئة تُعد سبة ، وعارا في حق الرجال ، فالسُلم الحجاجي اقتضى أن يصف عمر جريرا

١ - ديوان نقائض عمر بن لجأ وجرير ص ٥٥،٥٦ * نزوت : وثبت ولا يقال إلا للشاء والدواب * العقال المؤربا : المعقود بشدة * الأجزع : النواحي * الزاعبي : نصل الرمح المنسوب إلى زاعب وهو رجل من الخزرج يجيد صناعة الرماح *المذرب : الحاد
*تحدى : تساق كما تساق الدواب * الشل : الطرد * عصبصب : شديد * النهل : أول الشرب * المردفات : السبيئة أردفها خلفه من سباها * الغميم : موضع بين مكة والمدينة

٢ - الافتراض المسبق : تلك المعلومات التي يحتويها الكلام والتي ترتبط بشروط النجاح التي لابد أن تتوفر لكي يكون الفعل الكلامي المزمع تحقيقه قابلا لأن يفضي من الناحية التأثيرية بمعنى آخر – الخطاب في شعر النقائض – نقائض جرير والفرزدق – دراسة تداولية – جبارية مصطفاوي ص ١٥

بأنه جبان ، يهرب من ساحة القتال خوفا وجبنا ، فيلزم من ذلك أن ما هو أقل من هذه الصفات ، ويندرج تحت مسمى الخوف ، والجبن ثابت بالدلالة القطعية للمهجو ، وما هو أعلى من الجبن ، وعدم الثبات أقوى في الدليل والحجة ، وما هو نقيض الجبن والهروب من ساحة الحرب منفي عنه تباعا ، ومن ثمّ بات حديثه مؤكدا لجبن المهجو ، وإثبات خوفه ، ومثبتاً بما لا شك فيه عقلا " ما كان كثيره مقدور فقليله مقدور ، وعلى العكس ما كان قليله غير مقدور كان كثيره غير مقدور "[1]

٤- استخدم الشاعر حرف العطف " الفاء " في قوله : فلم يَلحقوا بها .....وحرف العطف الفاء – كما هو معروف – يفيد الترتيب والتعقيب ، والطبيعي في هذا الموقف أن يلبي رجال يربوع نداء نسائهم ، ويسرعوا لنجدتهن ، ولكن حدث العكس ، فأسرعوا إلى عدم النجدة ، فخالفوا بذلك العرف ، والسنة المتبعة ، للؤم طباعهم ، وعدم وجود نجيب بينهم " ولم يك يربوع أبوهن أنجبا " [2]

٥- وظّف الشاعر الاستفهام أداة حجاجية يستند إليها لتوضيح المقصود فقال :

وكيف طِلابُ المردفات عشية ....وقد جاوز الشيخ الغميم ويثربا

فخرج بالاستفهام من معناه الحقيقي إلى معنى آخر مجازي ،هو" الإنكار "فأنكر عليهم حالهم ، وهو عدم نجدة النساء ، وكيف لهن النجدة وقد وصلوا بهن إلى مشارف الغميم ويثرب ؟

فاستخدم الافتراض المسبق عن طريق الاستفهام الذي يثير نقاشا ، ومن ثمة حجاجا ذلك أن " الافتراضات الضمنية التي تقوم عليها بعض الأسئلة هي التي تجعل من الاستفهام أسلوبًا حجاجيًا ؛ لأن

١ - أصول الحوار وتجديد علم الكلام – ص ١٠٧
٢ - النجيب : النبيل الفاضل الكريم – لسان العرب ٍ

كل إجابة مهما كان نوعها لابد أن تسلم بتلك الافتراضات ويكون قد أجبر المسؤول في اللحظة ذاتها على الإجابة وفق تلك الافتراضات "[1]

وعندما أراد جرير أن يجعل من التيم عبرة لغيرهم قال:

فهل جَدْعُ [2]تيمٍ – لاأبا لك- زاجرُ كنَانةَ أو ناهٍ زهيرًا وتولبا

فاعتمد في حديثه على خمس أدوات حجاجية هي :

١- الاستفهام الذي خرج من معناه الحقيقي إلى معنى مجازي وهو" التقرير "

٢- استخدم الأسلوب الإنشائي الدعائي في قوله : " لا أبا لك" والأساليب الإنشائية تحمل شحنة انفعالية في نفس المتكلم ، تلك الشحنة اتخذت من الدعاء طريقا لها " وكثيرا ما تعضد الأساليب الإنشائية حججا قائمة الذات بما توفره من إثارة ، وما تستدعيه من عواطف ، وأحاسيس ؛ ذلك أن الأساليب الإنشائية خلافا للخبرية لا تنقل واقعا ولا تحكي حدثا فلا تحتمل تبعا لذلك صدقًا أو كذبًا ، وإنما تثير المشاعر ، وتشحن من ثمة بطاقة حجاجية هامة "[3] هذا الدعاء يفصح عن مدى انفعال الشاعر بالغضب من التيم ، فصار حجة ودليلا على كرهه لهم .

٣- توظيف صورة الكناية لخدمة المعنى المقصود ؛ فجدع الأنف كناية عن الذل ، والحقارة ، ومعلوم ما في الكناية من سوق المعنى ومعه الدليل ، من خلال البحث عن لازم المعنى ، فيلزم من جدع أنوفهم حصول الذل والهوان لهم .

١ - الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه – سامية الدريدي –ص ١٣٤
٢ - جدع الأنف : قطعه وهو دليل الذل والإهانة والحقارة – لسان العرب
٣ - الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه ص ١٣٩

٤- يشير من خلال حديثه عن جدع أنف التيم إلى ما ورد في بعض المصادر التاريخية من أن اليمنيين جدعوا أنوف بعض أفراد التيم ، والإحالة إلى حوادث التاريخ بما يتضمن أفعالا إخبارية من أقوى الأدلة ، وأكثرها حجة ؛ حيث لا مجال للطعن أو الشك فيها .[١]

٥- جعلهم أصلا ، ومثلا للحقارة ، والمهانة ، والذل فأضاف إلى الإشاريات الشخصية ، إشاريات اجتماعية تذكر بذكرهم .

في حين تناول عمر ذات المعنى ، وأضاف إليه ، وقلبه على مبدعه قائلا :

وإن جدعوا أُذنيْ جريرٍ وأنفهُ أقرّ ولا عُتْبى لمن ليس مُعْتِبا

فلم يكتفِ بجدع الأنف دليلا على الحقارة ، والذل ، بل أضاف إليه جدع الأذن إيغالا في الوصف ، ومعتمدا على أسلوب الشرط بدلا من الاستفهام التقريري عند جرير، وأرى بيت جرير أبلغ في الصفة وتأكيدا لحصولها في التيميين ؛ لأنه جمع بين وصفهم بالحقارة والذل وبين حادثة تاريخية معروفة .

سخّر عمر طاقته ، وجمع ما أمكنه من الأدوات الحجاجية يفخر من خلالها على جرير وقومه ، ويستهزئ بهم ، ويسخر منهم قائلا :

ونقري السِنامَ *الضيفَ إنْ جاء طارقاً* يُمارسُ عرْنينا* من القُرّ *أشْهبا

ويقري ابن يربوعٍ إذا الضيفُ آبَهُ * على ناقةٍ أيْرَ الحمارِ المؤَدّبا[٢]

ففخر بكرمهم ، وأنهم يقدمون للضيف أفضل ما عندهم من الطعام ، كما أن ضيفهم يطرق الباب ليلا ، في وقت الشتاء القارس ، وهذا أدعى لنجدته ،

١ - راجع البحث ص ٨

٢ - د يوان نقائض عمر بن لجأ وجرير ص ٥٧ * السنام : أعلى ظهر البعير * الطارق : الذي يطرق الباب ليلا * عرنين القر : أوله والقر : البرد * الأشهب : الأبيض لكثرة الثلج * آب : رجع *

وإغاثته ، وتلبية حاجته من الطعام ، والدفء ، في حين قرن بتلك الصورة ما يناقضها عند جرير وقومه ، فهم يسيئون معاملة الضيف ؛ لبخلهم الشديد ، وفيه إشارة إلى ما اشتُهر به والد جرير من أنه كان يشرب الحليب من ضرع الشاة حتى لا يُسمع صوت الحلب فيُطلب منه حليباً .

ولم ينس عمر أن يفخر بشجاعة قومه ، وذكر أيامهم ، والتغني بانتصاراتهم على أعدائهم إحالة إلى ما اشتهر في التاريخ من أحداث أيام العرب التي لا ينكرها أحد فهي مؤكدة بشهادة الشهود فقال :

لنا مجدُ أيامِ الكلابِ عليكمُ بني الكلبِ لا نخْشى به أن نُكذّبا

وهجاهم باللؤم وبالغ في ذلك فقال :

دعوتَ أباً عبداً وأُماً لئيمةً فلا أمّ تدْعو في الكرامِ ولا أبا

كما كنتَ تدعو قَعنَبا حينَ قصّرتْ كُليبٌ فما أغنَى دُعاؤكَ قَعْنَبا[1]

فذكرهم بأسمائهم ، وألقابهم تأكيداً لاتصافهم بصفة اللؤم أصلاً ، وفرعاً ؛ لينفي عنهم كل مكرمة يمكن أن تلحق بهم ، وبالغ بأن جعل نُطَفهم لئيمة من أصل نشأتها حيث قال :

وكان لئيماً نطفةً ثمّ مُضغَةً إلى أن تناهى خَلْقُهُ فتشعّبا

فمحور العلاقة الأفقية [2] لدى الشاعرين تجعلهما يُفاخران بقومهما شجاعة ، وكرما ، مؤكدين ذلك بما يساند المعنى ، ويدعمه بإشاريات إخبارية تاريخية تارة ، ومكانية تارة ، و زمانية تارة أخرى .

كما أفحش عمر بنساء يربوع أيما إفحاش ، ووصفهن بصفات تدعو إلى التنفير منهن ، واعتبر ذلك وصفا حقيقيا في حقهن ، فقال :

يَشينُ حجالَ *البيتِ ريحُ ثيابها وخَبّثَ خدّها المَلاب* المُطيّبا

١ - المصدر السابق ص ٥٨ * قعنب : هو قعنب بن عتاب بن الحارث بن عمرو بن يربوع
٢ - محور العلاقة الأفقية تتمثل في علاقة كل من جرير ، وعمر بقومه وآبائه وأجداده ، وقبيلته .

إذا ما رآها المُجْتَلى* من ثيابها رأى ظَرِباناً *فيهما أو تَثَوّبا

وإن أسفرت* أبدت على الناس سوأةً * بها وتواري *سوأةً أنْ تَنَقّبا*

خبيثةُ ريحِ المشْفَرينِ *كأنّما فَسا ظَرِبانُ فيهما أو تثَوّبا [1]

في حين لم يتناول جرير نساء التيم نفس التناول ، بل اكتفى بالإشارة إلى عدم قدرة رجالهم على الدفاع عنهن ، والحديث عن النساء استلزم تذكير جرير بسجاح المتنبئة التي ظهرت فيهم ، واعتبر عمر الحديث عنها سبة ، وعارا يلحق بجرير ، وقومه فقال :

بحقّ امرئٍ كانت غُدانَةُ* عزّه وسجحةُ *والأحمالُ *أنْ يتصوّبا [2]

كما استدل على حقارتهم بما هو مشهور تاريخيا من أن أبا جرير كان يشرب الحليب من ضرع الشاة ، حتى لا يُسمع صوت الحلب ، فيُطلب منه فقال :

غُلِبتَ ابنَ شَرّابِ المِنيّ* ولم تجد لكم والداً إلا لئيماً مُغَلّبا*[3]

فالشاعر هنا يتبنى إستراتيجيتين في آن ٍ واحد : الأولى : البناء التي من أجلها فخر بقومه ، وتغنى بأيامهم ، والأخرى : الهدم ، فهدم ما فخر به جرير عن طريق الاستناد إلى حوادث تاريخية بعينها تحقق له المراد والمقصود .

كما تبنى الإستراتيجية التضامنية ؛ لأنه يفخر بقومه ويدافع عنهم ، فيتضمن ذلك فخره بنفسه ، ودفاعه عنها ، بما دفعه لاستخدام الإستراتيجية التوجيهية ، بتوجيه الخطاب صريحا لهم بذكر أسمائهم ، وألقابهم .

---

١ - ديوان نقائض عمر بن لجأ وجرير ص ٦١* الحجال : موضع كالقبة يتخذ للعروس * الملاب : الزعفران * المجتلى : الناظر إليها * الظربان : دويبة شبه الكلب كثير الفسو منتن الرائحة * سفرت : كشفت عن وجهها * السوأة : العورة * تواري : تخفي * تنقبا : تضع على وجهها النقاب * المشفر : للبعير كالشفة للإنسان *

٢ - المصدر السابق ص ٦٠ * غدانة : أخو كليب عشيرة جرير * سجحة : سجاح المتنبئة بنت أوس بن يربوع * الأحمال من بني يربوع : سليط و عمرو وصبير وثعلبة

٣ - المصدر السابق ص ٦٠*شراب المني والد جرير بن عطية ، وكان يشرب الحليب من ضرع الماعز أو الناقة من شدة بخله * والمغلب : المغلوب مرارا .

ونستطيع من خلال العرض السابق أن نخلص إلى النتائج التالية :

١- ألفاظ جرير وأساليبه في الغزل سهلة هينة لينة عذبة تتناسب وطبيعة الغزل ، فهو يغرف من بحر ، أما عمر فألفاظه وأساليبه صعبة وعرة قوية قوة الصخر فما أشبه شعره بشعر الفرزدق الذي ينحت في صخر[١] .

٢- هناك معان بدأها جرير ، وأخذها عمر منه وزاد عليه من ذلك عندما أراد جرير أن يُلحق بعمر وقومه حقارة وذلا جعلهم لا يتقدمون بإبلهم إلى الشراب ؛ لأنهم عاجزون عن توفير حبل لدلوهم يرفعون به الماء من البئر ، فأخذ عمر هذا المعنى وزاد عليه فلم يجعل لهم إبلاً ، بل جعلهم أهل حمير وجحاش ، إمعانا في الذل والحقارة .

٣- تفوق عمر على جرير في نفي النباهة ، ورفعة الشأن عنه وعن قومه ، مع استعانة جرير ببعض الأساليب الحجاجية إلا أن عمر بالإضافة إلى قلب المعنى زاد عليه باستخدام الأدلة التقنية ، والصورة التشبيهية الساخرة ، وغير ذلك أضاف إلى نفسه وقومه فخرا تغنى به ، وجعله على كل لسان .

٤- كلاهما (جرير وعمر) استخدم الثناء ، والمدح في غير موضعه استهزاء، وتهكما ، فأطلق جرير على الهجاء " ثناء " بينما أطلق عمر عليه " غناء " فالسبق لجرير ، والفضل للمتقدم .

٥- كان جرير أكثر إيلاما للطعن في نساء التيم عن طريق رجالهن الذين لا يدافعون عنهن ، أما عمر فاعتمد على الفحش والسباب ، ووصفهن بسيل من الصفات القبيحة ، فتفوق جرير ؛ لأن المعركة الحقيقية بينه وبين رجال التيم ، وليست بينه وبين نسائهم ، فغمزهم بما يحط من قدرهم ، ويطعن في رجولتهم ،ونخوتهم .

---

١ - وهذا وصف ابن الأخطل لشعر جرير والفرزدق عندما رجع من العراق فقال لأبيه : وجدت جرير يغرف من بحر ، ووجدت الفرزدق ينحت من صخر " فقال الأخطل : الذي يغرف من بحر أشعرهما ، ولكن الأخطل بعد ذلك مال إلى الفرزدق عن جرير ، ونشب الهجاء بينهما – انظر شرح ديوان جرير ص ٧

٦- زيادة تُحسب لعمر على جرير عندما جدع أنفهم ، وأذنهم ، إيغالا في الوصف بينما اكتفى جرير بجدع الأنف فقط .

**المبحث الثاني : قال جرير في هجاء عمر بن لجأ :

أهاج البرقَ ليلة ذَرعاتٍ هوى ما تستطيعُ له طِلابَا [١]

وقال عمر بن لجأ ينقض قوله السابق :

أجدّ القلبُ هجْراً واجتنابا لمن أَمْسى يُواصِلُنا خِلابا[٢]

يولي جرير هذه القصيدة عناية خاصة بوصف التيم ، وفي مقدمتهم عمر "بالعبودية " ، ويدلل على اتصافهم بهذه الصفة بأكثر من معنى ، مستخدما مجموعة من الأدوات الحجاجية التي تؤكد اتصافهم بها فيقول :

إذا عُدّ الكرامُ وجدتَ تيما نُخالَتَهُم وغيرَهُمُ اللّبابا

فعقد موازنة بينهم ، وبين غيرهم ، وأكرم غيرهم فجعلهم لبابا ثمينا ، أما التيم فهم نُخالة لا شأن لهم ، فكانت النتيجة رفعة شأن غيرهم ، وتحقير شأنهم ، وتطبيقا للسُلم الحجاجي ، فكل ما يعلو على رفعة الشأن يتصف به غير التيم ، والعكس صحيح في حق التيم ، وكل ما يناقض الرفعة ، والشرف موصوف به غيرهم والعكس صحيح فيهم ، مدعما المعنى بصورة " الطباق الذي يجمع بين المعنى ونقيضه فصار بذلك أداة حجاجية موظفة في خدمة المعنى " فعندما تريد إقناع شخص ما بمحاسن أمر ما ، فإنك ستتحدث عن مثالب ضده ؛ كي تبرز محاسن الشيء المراد إعلاء شأنه ، فتسمو مكانته ، ويرفع قدره في قلب وعقل السامع عن طريق نظيره "[٣] ،وهذا بالفعل ما قصده جرير ، لكن بصورة سلبية في حق التيم ، إيجابية في حق غيرهم ، كما لوّن الأسلوب بالصورة

١ - شرح ديوان جرير ص ٤٠
٢ - ديوان نقائض عمر بن لجأ وجرير ص ٦٣* أجد أمره : أحكمه وعزم عليه * الخِلاب : المخادعة حتى ينال المرء ما يريد
٣ - الآليات البلاغية الحجاجية في المعلقات – هناء لبيهي ص ٦٠

التشبيهية دليلا على صحة ما يقول عن طريق الصفة الجامعة بين الطرفين ، فشبه التيم بالنخالة ، يجمعهما عدم الشأن ، في حين شبه غيرهم باللّباب ، يجمعهما عِظَم الشأن .

كما دلل على عبوديتهم بسواد جلدهم ، معتمداً على ما هو شائع في العُرف والعادة بالربط الحاصل بين سواد الجلد والعبودية فقال :

أبوكَ التيمُ ليس بخِنْدِفيّ أرابَ سوادُ لوْنِكُمُ أرَابا

مضيفا إلى سواد اللون وصف شفاههم العليا بأن عليها دائرة ، وذاك وسم العبيد فقال :

ترى للّؤم بين سِبَالِ *تيمٍ وبين سواد أعينهمْ كتابا

فبات الشاعر بذلك يتحدث عن مُسلّمات لا جدال فيها ولا مراء ، تعارف عليها القوم وأكدتها العادة ، مضيفاً إلى ذلك ما اشتهر عنهم تاريخيا من أنهم كانوا يدفعون الخراج صاغرين لليمنيين في صنعاء مقابل دخولهم تحت رايتهم فقال :

عرفنا العار من سبأ لتيمٍ وفي صنعاء خَرْزهُمُ العِيابا*

فاستخدم الفعل الماضي " مضيف إليه الضمير " نا " ليؤكد على عراقتهم في الذل ، والعبودية ، وأن ذلك معروف فيهم ، ومشهور بينهم حتى اتفق عليه الجميع .

ويستحضر صورة المخاطب بذكاء الشاعر الحصيف فيقول :

فأنتَ على يجُودَةَ مُسْتذلٌ وفي الحيّ الذين علا لِهَابا

فاستخدم الخطاب التوجيهي " أنت " ؛ فجعل المتلقي حاضراً فاعلا في الخطاب ، كما يستند إلى أحداث التاريخ ، عندما استجار التيم ببني سعدٍ من تميم فأجاروهم من ظُلم اليمنيين لهم قائلا:

أتكفرُ من يُجيركَ يا ابن تيمٍ ومن تَرعى بقودهمُ *السّحابا*

فعمد إلى الاستفهام الإنكاري ، مضيفا إليه النداء ، ومجملا الأسلوب بالمجاز المرسل ، ومضيفا فوق كل ذلك أسلوب القصر طريقه النفي والاستثناء ، فقال :

وما تيمٌ إلى سَلفيْ نزارٍ وما تيمٌ تربّبت* الرّبابا

وما تيمٌ لضبةَ غيرُ عبدٍ أطاعَ القودَ* وأتّبع الجِنابا*

كما أنهم أذلاء لا يحسنون سوى الحلب ، والصر فقال مصورا هذا المعنى :

وما تدري حُويزَةُ *ما المعالي وجَلْهَمُ *غيرَ أطرِهمُ *العِلابا[1]

كان هذا هجاء جرير لعمر وقومه ، ووصفهم بالعبودية ، فكيف كان نقض عمر لهذا المعنى ؟

تصدى عمر للرد على هجاء جرير ودافعه الغضب بسبب ما رماه به ، وحاول قلب المعنى عليه ، فرد عليه ما وصفه به من سواده ، وسواد قومه دليلا على العبودية قائلا[2] :

فأثْبت لي سوادَكَ لا تُضَوّرْ* فقد لا قيتَ من ضَرَمي ذُبابا

مطالبا إياه أن يعرف قدره فلا يتعداه فقال :

وأبْصرْ وسْمَ قِدْحكَ وابتغيه لئيماً لا طِماحَ ولا اشْتِعابا

وأنكر عليه فخره بنفسه ، وقومه قائلا :

أتفخرُ يا جريرُ وأنت عبدٌ من الرّمْكيةِ اقتضبَ اقتضابا

---

١ - شرح ديوان جرير ص ٤٢ * السبال : الدائرة في وسط الشفة العليا * العياب : الخراج * القود: الخيل * السحاب : أراد العشب المسبب عن المطر * تربيه : ادعى أنه ربه * الجناب : الانقياد * حويزة وجلهم : من بني التيم * أطرهم العلابا : أي أنهم عبيد يحلبون لبن الإبل في علاب الجلد أو الخشب .

٢٢ - كما وصف عمر جرير وقومه بالعبودية في قصيدته التي مطلعها :
لمن منزل بالمستراح كأنما تجلل بعد الحول والحول مذهبا
- ديوان نقائض عمر بن لجأ وجرير ص ٥٢

فلا تفخر فإنك من كليبٍ وقاربْ إن وجدتَ له اقترابا [1]

فاستخدم من أساليب الحجاج ما يساعده على قلب المعنى فكانت صيغتا الأمر والنهي ، وهما من أساليب الحجاج الناجعة " مجرد قيام الشاعر في الخطاب آمراً ، وناهيا له قيمة حجاجية بيّنة فمن أعطى نفسه حق الاضطلاع بوظيفتي الحض ، والردع ، قد لبس في شعره حُلة الحكيم الناصح ، الذي خبر صروف الدهر ، وابتلى ناسه فكان حقيقاً بهذا الدور جديراً بالطاعة ، وهو أمر يعيه الشاعر كل الوعي ، ويحرص نتيجة لذلك على التصريح به قبل إملاء النصائح ، وإصدار الأوامر ، والنواهي "[2] فالأمر لا يصدر إلا من الأعلى إلى الأدنى ، فقد وضع الشاعر نفسه ، وقومه موضعاً أعلى من موضع جرير ، وقومه وإلا ما توجه إليه آمراً ، وهو المعروف في عُرف التداوليين بالافتراض المسبق .

كما اعتمد في الخطاب على صيغة التوجيه ليخصه دون غيره بالاتصاف بالعبودية فقال : أتفخر يا جرير وأنت عبد .....، وزاد أن جعل أصله غير عربي من ناحية أمه ، والحق أنه مردود لأن جرير معروف أصله ، وقبيلته ، لكنه أراد أن يضع دائرة الشك على أصله من ناحية أمه عله يفلح في تحقير نسبه وهدم بنائه .

وعلى ذكر الأم والحديث عنها يغمزه عمر بما اشتهر عنها من ألقاب وأنها " أتان " تحقيرا واستهزاء .

كما عوّل على أسلوب الحذف في قوله " زعمت ابن الأتان وأنت عبدٌ .... ، والتقدير "زعمت فخراً وشرفاً " " فالكلام الموجز أكثر قوة ، وبلاغة من الكلام العادي ، وبالتالي أسرع وقوعاً في النفس ، وأشد تأثيرًا على الذهن "[3] وقديما

١ - ديوان نقائض عمر بن لجأ وجرير ص ٦٦ * تضور : تلوى وصاح من الوجع * الضرم : اشتعال النار * ذباب : شرّها * الوسم : أثر الكي * الطماح : الكبر والفخر * الاشتعاب : التفرق * الرمكية : الأنثى من البرازين ،وهو ما كان غير عربي من الخيل والبغال * قارب : اقتصد .
٢ - الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه – ص ١٥٠
٣ - الآليات البلاغية الحجاجية في المعلقات – هناء لبيهي ص ٤٢

قال عنه الجرجاني " باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر ، شبيه بالسحر " [1]

والنفس بطبيعتها تميل إلى الإيجاز ، والاختصار ، وفيهما شد لانتباه المتلقي ، واستحواذ على ذهنه ، وهذا ما يقصده الشاعر ، ويسعى إليه .

وتأكيدا على عبوديتهم ، جعل عمر الشرف والسيادة في حق جرير وقومه بمثابة انتحال الشيء ونسبته إلى نفسه سرقة وادعاءً فقال :

فإنك وانتحالكُمُ لِهابا كذات الشيبِ تنتحلُ الشبابا

ويلاحظ هنا الالتفات من صيغة الخطاب للمفرد إلى صيغة الخطاب بالجمع ، والأصل أن يقول " وإنك وانتحالك " وهذا الالتفات مقصود من الشاعر حتى يشمل في الصفة جريراً وقومه .

وكما جعل جرير عمرَ، وقومه " نخالة " وغيرهم " اللّباب " تناول عمر ذات المعنى واللفظ " تناصاً حجاجياً" وقلبه على صاحبه فقال :

وإلا تفتخرْ ببني كليبٍ فما كانوا الصريحَ ولا اللبابا

وأراد أن يشمل المعنى أصولهم وفروعهم فقال :

ولا أصلُ الكليبِ لهُ أرومٌ وجدتَ ولا فُرُوعُهُمُ رِطَابا

ويتجه حيثما اتجه جرير من الاعتماد في سلب المعنى على الأحداث التاريخية ، التي لا شك فيها فإذا به يقول :

بنو السعدين تغضَبُ لي وتلقى غُدانةَ والحرامَ لكمْ غِضابا

ولطالما نبذه في أمر سجاح المتنبئة ، وعيّره بظهورها فيهم ، وإتباعهم لها فقال :

أسجحةُ يا جريرُ لكم أحلتْ نكاح الميْت قد لقيَ الحسابا

---

١ - دلائل الإعجاز – شرحه وعلّق عليه د/ محمد التُنْجي –ط- دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان ص ١٢١

١- مستخدما الاستفهام التقريري الذي يدفع بالمخاطب دفعاً إلى الاعتراف والإقرار بما يريده المتكلم ، وبذلك يتحقق للشاعر مبتغاه ومقصده ، فيقر المخاطب بأن كانوا في جاهليتهم يدفعون الجزية لليمنيين ، وجعل المخاطب مشاركا له في الرأي ، بينما رد عليه عمر قوله فرماهم بسواد جلدهم مكتفيا بذلك .

٢- أنكر عمر على جرير فخره ؛ لأنه ليس أهلا لذلك ، فأمه غير عربية ، وهذا مما لم أقرأه فيما قرأت عن جرير ، فليس له سند تاريخي .

٣- استخدم عمر التناص الحجاجي مستخدما معنى جرير ولفظه ، فوصف قومه باللباب ، ونفى عنهم أن يكونوا نخالة ، وغمز جرير بسجاح ،إذلالاً وسبة لظهورها فيهم ، واتباع أكثرهم لها .

المبحث الثالث : قال جرير في هجاء عمر بن لجأ :

ألا زارتْ وأهلُ منًى هجُودُ وليتَ خيالَها بمنًى يعُودُ[1]

قال عمر بن لجأ في نقض هذه القصيدة :

أ آبَ الهمّ إذ نامَ الرُقُودُ وطال الليلُ وامْتَنعَ الهُجُودُ[2]

لعل صفة لم تحظ باهتمام الشاعرين كما حظيت صفة " اللؤم " ، كلاهما استخدمها في هجاء صاحبه ، محاولا إظهار قوته الدفاعية من خلالها ، فهذا جرير يرمي عمر وقومه بها ، ويتخذها ذريعة للتقليل من شأنهم وحقارتهم حيث قال :

لئام العالمين كرامُ تيمٍ وسيدُهُمْ ، وإن زعموا ، مَسُودُ

فعقد موازنة بينهم وبين غيرهم في صفة " اللؤم " فكانت النتيجة أن جعل كِرامهم لئاماً عند الناس ، وجعل سادتهم عبيداً عند الناس ، فنخلص إلى أنه إذا كان هذا حال كِرامهم ، وسادتهم فكيف بمن دونهم ؟

والطباق مطيته في توضيح المقصود ، وتلوين الصورة ، فأكد بذلك الوصف ، وأجاد التعبير ، وربما كان البيت التالي توضيحاً لبيان تلك الحال عندما سوى بينهم ، وبين عبيدهم قائلا :

وإنك لو لقيتَ عبيدَ تيمٍ وتيماً ، قلتَ أيّهمُ العبيدُ

فحالهم أن من ينظر إليهم لا يستطيع أن يفرق بينهم وبين عبيدهم ، فأشرك المتلقي في البحث عن حالة التيم ، وإذا به يشركه أيضا في الوصول إلى النتيجة ، وهذا نمط عال في الإقناع ، إذ يخاطب في المتلقي العقل ، وإعمال الذهن ، ويجعله يصل بنفسه إلى النتيجة ، عندها تستقر في نفسه ، ولا مجال للشك فيها

---

١١ - شرح ديوان جرير ص ١٨٩

٢ - ديوان نقائض عمر بن لجأ وجرير ص ٧٦* آب : رجع * الهجود : النوم

؛ لأنها نابعة من ذات نفسه بعد إعمال فكر ، وإثارة وجدان ، وهو المسمى تداوليا بالحجاج الإقناعي[١].

وفي نفس اتجاه تأكيد الصفة فيهم يضمن لها الاستمرارية ، والبقاء ليل نهار حيث قال:

أرى ليلا يخالفُهُ نهارٌ ولُؤمُ التيمِ ما اختلفا جديدُ

فربط بين ظاهرة كونية ، وهى تعاقب الليل ، والنهار ، واستمرار اللؤم فيهم ، فكانت النتيجة : طالما ثمة ليل يعقبه نهار حتى قيام الساعة ، فدوماً لؤم تيم لا يفارقهم حتى آخر الزمان ، فالإذعان بتعاقب الليل والنهار ، يلزمه الإيمان باستمرار اللؤم عندهم ، وهو المسمي تداوليا الحجاج الإقتناعي [٢].

ويستفرغ جرير كل طاقته ، ويُقلّب بين الأفكار والمعاني ، محاولا من كل طريق تأكيد صفة اللؤم في التيم عامة ، وفي عمر خاصة من باب إدراج الجزء في الكل ، مستخدما القاعدة المنطقية التي تترتب فيها النتيجة على المقدمة ، حيث قال :

بخُبْثِ البَذْرِ ينْبتُ حَرثُ تيمٍ فما طاب النباتُ ولا الحصيدُ

فطالما أن البذرة خبيثة فالحصاد خبيث ، بلا شك أو ريب ، تطبيقا للنظام الكوني قال تعالى " والبلدُ الطيّبُ يخرجُ نباتُه بإذن ربه والذي خَبُثَ لا يخرج إلا نَكِدا"[٣]

ولم ينس جرير أن يلون المعنى ببعض الصور التي استعان بها على تأكيد المعنى ، حيث قال :

كساكَ اللؤمُ لؤمُ أبيكَ تيمٍ سرابيلاً ، بنائقُهُن* سودُ

قُدرنَ عليهمُ وخُلقن منهم فما يَبْلين ما بقيَ الجُلودُ[٤]

١ - الحجاج الإقناعي : يرمي إلى إقناع الجمهور الخاص – في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات – عبد الله صولة – ص١٣

٢ - الحجاج الإقتناعي : يرمي إلى أن يسلم به كل ذي عقل فهو عام – المرجع السابق – نفس الصفحة

٣ - سورة الأعراف جزء آية رقم ٥٨

٤ - شرح ديوان جرير ص ١٩٦* البنيقة : رقبة القميص

ويعتمد في توضيح الصورة على " الفعل الماضي " وكذا " الفعل المضارع" فوصل بذلك ماضيهم بحاضرهم ومستقبلهم ، وتلك براعة فائقة في الوصف ، وإحكام تأكيد صفة اللؤم فيهم .

هذا عن جرير ، فهل كان لعمر نفس القدرة في نقض هذه المعاني ، وتفنيدها رداً على الخصم ، وإفحاماً لمزاعمه ؟

قال عمر بن لجأ ينقض معاني جرير السابقة :

ولم تكن اللئامُ بنو حريصٍ* إذا أُكتُسبَ الخلائقُ تستجيدُ[1]

ويقلب معنى جرير عليه فيجعل اللؤم ملازماً لهم كجلودهم قائلا:[2]

تَبيّن لؤمُ يربوعٍ ويبقى على الأجسادِ ما بقيتْ جُلُودُ

متكئاً على صيغة المضارعة ، بما تحمله من معنى الدوام ، فصفة اللؤم باقية فيهم ، ما بقيت جلودهم قائلا :

فإن تخْلق ليربوعٍ ويبقى فإن اللؤم فوقهُمُ جديدُ

مستخدماً المؤكدات التي تعينه على ما يريد ، مضيفاً إليها الاستعانة بالشهود لإقامة الحجة على الخصم فقال :

فمن يشهد ليربوعٍ بمجدٍ فقد قامت بلومهمُ الشهودُ

فإن حدث وشهد لهم أحد بالمجد - وقلما يحدث ذلك – بدليل استخدامه " من "الشرطية يرده ماضيهم المشهود لهم فيه باللؤم ، فجعل " من " في الشطر الأول مصاحبة للمجد ، في مقابل " قد" في الشطر الثاني مصاحبة للؤم ، وجعل واقعهم وإن شهد مجداً في الشطر الأول ، في مقابل ماضيهم المؤسف الذي يَرُد

---

١ - ديوان نقائض عمر بن لجأ وجرير – ص ٨٢* بنو حريص : قوم جرير

٢ - كما وصفهم باللؤم في قصيدته التي مطلعها :
لمن منزل بالمستراح كأنما تجلل بعد الحول والحول مذهبا
- ديوان نقائض عمر بن لجأ وجرير ص ٥٢

هذا المجد " يشهد – قامت " كما استخدم الخطاب التوجيهي ، فخصّهم دون غيرهم بالحديث فقال :

وأنت لئيمهمْ وهـــــمُ لئامٌ كذاك الحقُ خالفَ ما تريدُ

١- ما تعاقب الليل والنهار، وجعل نتاجهم خبيثاً ؛ لأن البذرة أصلها خبيث فنتاجها منها ، ومثلها فمن أين يأتيهم طيب الأصل ؟

٢- جعل عمر اللؤم ملازما لهم كجلودهم ، ومعنى جرير أقوى ، وأبلغ ؛ لأنه أكسبه الأبدية ، فالتفوق ظاهر لجرير بلا نزاع ، فلم يكن لعمر به حول يدفعه ، فلم يدع جرير له طريقا يسلكه ، وينفرد بالإضافة فيه .

****

المبحث الرابع:

قال جرير في هجاء عمر بن لجأ :

أتنسى يومَ حوملَ والدخولِ مَوْقِفَنا على الطللِ المُحِيلِ[١]

نقض عمر قول جرير السابق قائلا:

ألمْ تُلْممْ على الطّللِ المُحِيل* بغَربي الأبارقِ* مِنْ حَقِيل*ِ[٢]

الفخر بالدفاع عن الأعراض ، وحماية النساء لا يساويه فخر عند العرب ، وقد أدرك جرير وعمر ذلك تماما ، فاستغلا هذه المَكرُمة ، ورمى صاحبه بما يناقضها ، فصارت المعايرة بعدم الدفاع عن العرض باباً يتكئان عليه لإظهار العجز ، ووسم الآخر بالخزي ، والعار، والفحش بالنساء ، ووصفهن بما يتنافى والمرأة العفيفة الطاهرة ، فهذا جرير يفخر على عمر بأنه وقومه قادرون على حماية أعراضهم ، أما عمر وقومه فعاجزون عن ذلك فقال :

فردّ المُردفاتِ* بنات تيمٍ ليربوعٍ فوارسُ غيرُ ميلِ*

١ - شرح ديوان جرير – ص ٥٢٩

٢ - ديوان نقائض عمر بن لجأ وجرير – ص ٤٢* المحيل : الذي أتى عليه حول * الأبارق : اسم مكان * حقيل : واد في ديار بني عكل بين جبال الحلة.

تداركنا عُيينةَ وابنَ شَمْخٍ وقد مَرّا بهن على حقيلِ

رأوا قُعْسَ الظهورِ بناتِ تيمٍ تكشّفُ عن علاهبةٍ* رعولِ*[1]

فعقد موازنة بين نساء يربوع ونساء التيم ، كانت نتيجتها: هنيئاً لنساء يربوع برجالهن الذين يضحون بأرواحهم من أجل الدفاع عنهن ، والعكس مع نساء ورجال التيم ، فوضحت حجته من خلال عرض المعنى ، وما يناقضه في ذات السياق فاجتمع لنساء ورجال يربوع كل صفات الحُسن ، وفي الوقت ذاته اجتمع لرجال ونساء التيم كل القُبح ، والخزي ، والعار، ووفق السُلم الحجاجي كل ما علاها من الصفات في حق يربوع ، وكل ما دونها في حق التيم .

أضاف إلى ذلك وصف نساء التيم بما يُنفّر من الصفات القبيحة في الأنثى ، وتشبيههن بدواب الصحراء الحقيرة ، والكريهة ، وسيئة المنظر ، وخبيثة الرائحة فقال :

ترى التيميّ يَزْحفُ كالقرنيّ* إلى تيمية ، كعصا المليلِ*

إذا كَشَرتْ* إليه يقولُ: بَلَوى بلا حَسَنٍ كَشَرْتِ ولا جميلِ

تشينُ الزعفرانَ عروسَ تيمٍ وتمشي مِشيةَ الجُعلِ* الزّحولِ*

يقول المجتلون عروسُ تيمٍ شوَى أمّ الحُبينِ *ورأسُ فيلِ

ولوغُسِلتْ بساقِيَتيْ دُ جَيْلٍ لقالت : ما اكتفيتُ من الغَسولِ

إذا ما استبْعَرتْ* كَحلتْ إليه بقِحْفٍ *في عَنِيّةِ* مُسْتَبيلِ*[2]

---

١ - شرح ديوان جرير – ص ٥٣٠* المردفات : المسبيّات اللواتي يردفن وراء الغازي * الميل : المخذولون * العلاهبة : التيس الطويل القرنين * الرعول من الرعالة : الحمق

٢ - شرح ديوان جرير – ص ٥٣١*القرني : دويبة طويلة الرجلين تشبة الخنفساء * كعصا المليل : هزيلة * كشرت : أظهرت أنيابها كالكلاب * الجعل : ضرب من الخنافس * الزحول : دابة تدخل في جحرها عجزها قبل رأسها * أم حبين : دويبة تشبه أبو بريص * اسبعرت : بعرت ، ألقت الرجيع * القحف : العظم الذي فوق الدماغ * العنية : قطران * المستبيل : الطالب البول .

فاستعان ببعض من دواب الصحراء المعروفة بخبث المنظر والرائحة فألحق بها نساء التيم ، واعتمد حجاجيا على الصفة الجامعة بين نساء التيم وتلك الدواب ، فكان بمثابة الصفة يصحبها الدليل والبرهان .

كما استعان بالمجتلين لعروس التيم خير شاهد على خُبثِ الرائحة ، وقذارة الهيأة ، والشهادة أعلى درجات اليقين ، مستخدما أسلوب الحوار التداولي ليضيف إلى الأسلوب طابع المرونة في الحديث ، والأخذ والرد .

وبالطبع ترصّد عمر لتلك المعاني فحاول نقضها قائلا :[1]

وليس ابنُ المراغةِ يومَ تُسْبى نساءُ ابنِ المراغَةِ بالصّؤولِ*

وألحَقهُنّ* أقوامٌ سِواكُم وعندك ما أخذنَ وهنّ حُولُ*[2]

فغمز جرير بلقب أمه المشهور " ابن المراغة " وأعاده وكرره تأكيدا ونكاية ، وإمعانا في إلحاق الخزي ، والعار بها ، وجعل من طبيعة رجال يربوع عدم نصرتهن .

وحقيقة ، يكفي ما قاله عمر في حق نساء يربوع من الصور المخزية ، والسباب ، والفحش ، والصور الخارجة عن الحياء والأدب ، والسباب ، والشتم في

من خلال ما سبق نستطيع أن نخلص إلى النتائج التالية :

١- فخر جرير على عمر بأنهم قادرون على حماية أعراضهم عن طريق الموازنة بين حال نساء التيم ، وحال نساء يربوع .هنأ فيها نساء يربوع برجالهن الذين يدافعون عنهن ، ووصف نساء التيم بما يسوؤهن ، وشبههن بدواب الصحراء وحشراتها الحقيرة تنفيراً منهن ، وجعل من بينهن من يشهد لهن بذلك .

---

١ - تناول عمر عدم دفاعهم عن الأعراض في قصيدته التي مطلعها :
أ آب الهم إذ نام الرقود وطال الليل وامتنع الهجود
- ديوان نقائض عمر بن لجأ وجرير ص ٧٦

٢ - ديوان نقائض عمر بن لجأ وجرير – ص ٤٩* الصؤول من الرجال : الذي يضرب الناس ، ويتطاول عليهم أراد الذي يدافع عن عرضه * ألحقهن : أتبعهن وأراد ذلهم وضعفهم * وحول : جمع حائل : وهي التي لا تحبل .

٢- بينما عمر غمز جرير بلقب أمه المشهور عنها " المراغة " وجمع ما يمكن جمعه من السباب والقذف والفحش بنساء يربوع ، فالأفضلية ظاهرة لجرير على عمر في عرض هذا المعنى فقد اكتفى عمر بالسب و القذف ، وهو أسلوب متدني في الهجاء .

*****

المبحث الخامس :

قال جرير في هجاء عمر بن لجأ :

هاجَ الهوى وضميرَ الحاجةِ الذّكَرُ واستعجمَ اليومَ من سَلّومةَ الخبرُ[1]

قال عمر بن لجأ يهدم قوله السابق :

نبئت كلبَ كليبٍ قد عوى جزعا وكلُ عاوٍ بفيهِ التّربُ والحجرُ[2]

ضرب المثل بالآخرين ؛ للتخويف ، وإلقاء الرعب في قلب المخاطب ، وسيلة سلكها جرير في هجاء ابن لجأ ؛ فجعل من التنكيل بالفرزدق ، والأخطل ، والبعيث ، معرضاً أمام أعين ابن لجأ وقومه ، حتى يتعظوا بما لحق بهم ، ويرجعوا عن هجاء جرير وقومه ، وبالطبع لم يقف عمر بن لجأ أمام هذا التهديد مكتوف الأيدي حاسر الذهن ، فعندما حاول جرير إلقاء الرعب في قلب عمر وقومه ، وتحذيرهم بأن يكون مصيرهم كغيرهم ممن تعرضوا له قال :

ذاقوا كما ذاق من كان قبلهمُ واستعقبوا عثرة الأقيان إذ عَثروا

فاستخدم الفعل الماضي " ذاقوا – ذاق " من قوم الفرزدق ، ذلا وهواناً ؛ جزاء تجرئهم على هجائه وقومه ، فصوّب سهام هجائه إليهم فأسقطهم ، وألحق بهم خزياً وعاراً ، وأعانه على الوصول إلى هذا المعنى استخدامه لبعض الروابط المؤثرة " كما – من – قد- إذ" فضلا عن نبذ الفرزدق بلقبه " ابن القين " ، وجعله عظة وعبرة لغيره .

وبالمثل جعل جرير ما حدث للأخطل على يده عظة ، وعبرة لعمر وقومه ، ولكل من تجرأ على الإقدام على هجائه فقال :

---

١ - شرح ديوان جرير – ص ٣٤٦* سلومة : اسم صاحبته.
٢ - ديوان نقائض عمر بن لجأ وجرير – ص ٢٣ * بفيه الترب والحجر : دعاء عليه بالخسارة والذلة .

قد كان لو وعِظتْ تيمٌ بغيرهمُ في ذي الصليبِ وقيني مالكِ عبرُ[1]

فاستخدم البناء للمجهول زيادة في التنكيل والتحقير ، وعدم العناية ، والاهتمام " إن الشاعر قد يستخدم المبني للمجهول من باب التعبير عن آراء مشابهة لرأيه ، ومواقف مماثلة لنفس موقفه ؛ فيكون البناء للمجهول في مقام المساندين المؤكدين لما يقدمه المتكلم من أفكار ، وما يدعو إليه من مواقف ، وسلوك "[2]

ثم توجه إليه آمرا :

خلّ الطريقَ لمن يبني المنار به وابرز ببرزة حيث اضطرك القدرُ[3]

وواضح من استخدام أسلوب الأمر صيغة التعالي للمتكلم ، والموجة للمخاطب تحديداً ؛ ذلك أن صيغتي الأمر والنهي "تحملان معنى الدعوة ، ومن ثمة تبدو صلتهما بالحجاج وثيقة لأنهما يهدفان إلى توصية المتلقي إلى سلوك معين تحدده أطروحات الشاعر ، ومبادئه "[4]

وحذّر عمر من سلطان لسانه الذي سلطه من قبل على أقوام كُثر فدحضهم ، وهزمهم فقال محذراً:

قد حان قبلك أقوامٌ فقلت لهم جدّ النِضالُ وقلّتْ بيننا العِذرُ

وفي قوله " أقوام " دليل الكثرة لأولئك الذين تعرضوا لجرير ، فنكل بهم ؛ لذا استحق أن يكون مناضلا " جد النضال " ، واستخدم الجناس الذي يُحدث جرساً موسيقياً مؤثراً في نفس المتلقي لاستمالته ، وإقناعه بما يُقال " فقلتُ – قلّتْ " ويتحدث حديث الواثق بقوله :

لن تستطيع بتيمٍ أن تُغالبني حينَ اسْتَحَنّ جِذَابَ النبعة الوترُ

---

١ - شرح ديوان جرير ص ٣٤٧* استعقبوا : لحق بهم * ذو الصليب : الأخطل * قينا مالك : الفرزدق والبعيث .
٢ - الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه – د/ سامية الدريدي ص ١٦٠
٣ - شرح ديوان جرير ص ٣٤٧* برزة: أم عمر بن لجأ
٤ - الحجاج في الشعر العربي - بنيته وأساليبه – ص ١٤٩

وما ذاك إلا لأنهم :

ما التيمُ إلا ذبابٌ لا جَنَاح له قد كان من عليهمْ مَرّة نمرُ

فلم يكتف في التحقير أن يشبههم بالذباب فقط ، بل زادهم حقارة وعجزا ، عندما وصف الذباب بأنه لا جناح له .

وبذكاء الشاعر الحصيف ، يستخدم كل ما في يده من الأدوات لإقامة الحجة على عدوه ، وحشد المعاني التي تصور حقارتهم ، وذلك عندما يسند الفعل إلى قوة أعظم منه ، ومن عمر ، وقومه ، إنها قوة الله – عز وجل – فقال :

أتبغي التيمُ عُذراً بعدما غدروا؟ لا يقبل اللهُ من تيمٍ إذا اعتذروا

فحشد في بيت واحد قوة إقناعية مؤثرة : استفهاماً إنكارياً ، والاستناد إلى قوة تعلو إرادتها على الجميع .

وفيما يبدو أن هجاء جرير لعمر أغضبه كثيراً فصاح هاجياً إياه سباً ، وشتماً ، بادئاً في هجائه من البيت الأول ، خلافاً للنظام المتبع في نقائضه الأخرى ، التي يبدؤها بحديث الأطلال ، والديار ، وذكرى الهوى ، والعشق .....فتحمس في الرد على قول جرير السابق ، ودفع الخصومة ، ورد الحجة بالحجة حيث قال :

نُبئتُ كلبَ كليبٍ قد عوى جَزَعاً وكلّ عاوٍ بفيه التّرْبُ والحجرُ

مستخدماً النبأ تعبيراً عن هجاء جرير له ، يدل على أن وقعه كان شديداً على نفسه فلم يكن خبراً بالهجاء بل كان نبأ به ، وكأن جريراً قد أتى بالفعل الهائل الذي استحق بسببه رد عمر عليه ، وتوجيه السب ، والشتم له ، تحقيراً ، و إهانة ، واستلزم من كونه كلباً أن يعوي ، فجعل هجاءه عواء ، ويبدو لي أن هذا البيت مأخوذ من بيت جرير المشهورالذي هجا به البعيث الشاعر ، وطارت شهرته بين أبيات الهجاء حتى صار مثلا يضرب في لفظه ، ومعناه حيث قال جرير متباهياً بأن هذا المعنى له لأنه جدير بأن يأتي بكل غريب [1]:

١ - كما أنه شبيه بقول الراعي في هجاء جرير :

وعاوٍ عوى من غيرِ شيءٍ رمَيْتهُ بقارعةٍ أنْفاذُهَا تقْطُرُ الدّما

وإني لقوّالٌ لكُل غريبةٍ وَرُودٍ ، إذا الساري بليلٍ ترنّما [1]

واعتبر عمر دافع جرير إلى هجائه : الجزع من عمر ، وقومه ، ثم ختم بالدعاء عليه بالخسارة ، والذلة .

أعيا فعقّب يهجوني به ضجرا ولن يُغَيّر عنه السوأة الضجرُ

فدافع جرير لهجاء عمر وقومه حيرته ، وتضجره من شأن عمر ، وما كان ذلك إلا سببا في سخطه عليه وتحقيره لقومه ، وما هذه الحقارة إلا سنة دأب عليها جرير وقومه ، فلا جديد فيها :

يَلُومُني ظالماً في سنة سبقت إن الكليبي لم يُكتب له ظَفَرُ

فاعتمد في هجائه له على ما تعارف عليه الناس ، وصار سنة متبعة ، فكيف يمكن دفع هذه الحجة ، والرد عليها ، وهي تستمد قوتها من المجتمع كله ؟ وكيف يحقق النصر على عمر ، وقدّر الله له عدم النصر؟

نفس قوة الحجة المسندة إلى الله الخالق – عز وجل – تلك القوة التي جعلت من جرير عبدا لا أصل له ، فكيف يستطيع دفع ذلك عن نفسه؟

وما خلقتُك عبدا لا نصابَ له بل هو خَليقُ الذي يقضي ويأتمرُ

ومن جعلهم جرير عبرة لعمر " الفرزدق ، والأخطل ، والبعيث " انقلب عمر يمدحهم ، ويثبت لهم التفوق الشعري على جرير ، وخاصة الفرزدق الذي دحض جريراً ، وهزمه ، تلك الهزيمة هي التي دفعت بجرير إلى هجاء عمر ، حتى يسترد بذلك كرامته المهدرة ، ويمحو أثر الفضيحة التي ألحقه بها :

ألم تر أن كلب بني كليب أراد حياض دجلة ثمّ هابا

- طبقات فحول الشعراء ١/ ٤٣٦- يضاف إلى ذلك ما قلته سابقاً في التعليق على نفس بيت عمر من أنه أشبه أيضا ببيتين قالهما منازل بن ربيعة في هجاء جرير عندما طلبوا منه الفصل بين جرير والفرزدق في قول الشعر والحكم لأحدهما بالتفوق على الآخر ، فإذا به يهجوهما بما سبق ذكره من أبيات – راجع البحث ص ٤٣

١ - شرح ديوان جرير ص ٦٤٩

وإن تجرّد أمثالٌ خَدَعْتَ بها من الفرزدق يمضي ما مضى السّفَرُ

لما رأيتَ ابن ليلى عند غايته في كفّه قصباتُ السابقِ الخيرُ

هبتَ الفرزدقَ فاستعفيتني جزعاً للموتِ يعمدُ والموتُ الذي تَذَرُ

فاخسأ لعلك ترجو أن يحلّ بنا رحْلُ الفرزدقِ لمّا عضّك الدّبَرُ

تهجو بني لجأ لما انهزمتَ له رعباً وأنفُكَ مما قال مُخْتصرُ

فقلب الحجة على صاحبها ، وحاول هدم ما بناه جرير من تفوقه على الفرزدق ، وذهب إلى تفوق الفرزدق على جرير ، وقدرته على إلحاق الخزي ، والعار بقومه ، مما دفعه إلى هجاء عمر ، فإذا به يواجه موتاً ، وذلة ، وهواناً ، فانقلب السحر على الساحر .

واتخذ في سبيل إثبات ذلك مجموعة من الأساليب الحجاجية ؛ ليؤكد من خلالها ما ذهب إليه ، فاستخدم الفعل الماضي بدلالته التي عكست أصالة جرير في الخوف من هجاء الفرزدق ، وتفوق الفرزدق عليه سلفاً ، كما استخدم فعل الأمر " ليس لهذه الصيغة قوة إقناعية ، وذلك على عكس ما قد يعتقد ، إذ يستمد الأمر طاقته الإقناعية من شخص الآمر ، وليس من ذات الصيغة ؛ ولهذا يتحول الأمر إلى معنى الترجي حين لا يكون الآمر مؤهلا شرعياً لتوجيه الأوامر "[1] كما استخدم الصورة الساخرة التي تدعو إلى الهزء ، والسخرية : رحْل الفرزدق لما عضّك الدّبرُ.....

إذاً نستطيع أن نخلص إلى النتائج التالية :

١- أراد جرير تخويف عمر عن طريق ضرب المثل بما حدث لغيره ، وتحذيره من أن يكون مصيره كمصيرهم ، وجعلهم أشبه بالذباب لحقارتهم وأنهم لا قدرة لهم به ، فهم بلا شك مهزومون أمامه ، مفضوحون أمام غيرهم ، معتذرون له حتى يرحمهم من شر لسانه ، ولن يقبل عذرهم .

١ في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات – عبد الله صولة ص ٣٨

٢- رد عمر على جرير قوله مستعيناً بصورةٍ كانت لجرير من قبله ، فسرقها منه ، واعتبر أن دافعه للهجاء هو الجزع من عمر وقومه ، وأن النصر مؤكد لهم من الله - سبحانه وتعالى - وأضاف مادحاً مَنْ جعلهم جرير عبرة له ، وأثبت تفوقهم عليه ، فالقوة الإقناعية عند عمر تفوق قدرة جرير ، فهدم سنده وأبطل حجته في تفوقهم عليه .

المبحث السادس :

قال جرير في هجاء عمر بن لجأ :

ألا إنما تيمٌ لعمرو ومالكٍ عبيد العصا لم يَرجُ عِتقا قطينُها [1]

قال عمر بن لجأ في نقض قول جرير السابق :

أمن دِمنةٍ* بالماتِحيّ *عَرَفْتَها طويلاً بجنبِ الماتحيّ سُكُونُها*[2]

بدأ جريرقصيدته بهجاء التيم خلافا لما دأب عليه من افتتاح مقدمة قصائده بالغزل أو وصف الطلل ، بينما آثر عمر أن يتمسك بالمقدمة الطللية ، مفصلا الحديث عن الطلول الدوارس ، وما أصابها من عوادي الزمن ، وتقلبات الدهر .

كان لجرير اهتمام خاص في هذه القصيدة بنفي الكرامة ، والشهامة ، والنخوة العربية عن عمر وقومه ، ومن أجل هذا المعنى عرض مجموعة من المعاني الفرعية التي تقوم على تقويته وتأكيده ، وتفصح عنه ، وذلك على النحو التالي :

١- وصف جريرعمر وقومه بأنهم في الأصل عبيد أذلاء يساقون بالعصا حقارة وذلا ، وقد استعان على توضيح هذا المعنى باستخدام أسلوب التأكيد ب " إنما " والجملة الاسمية " عبيد العصا " فهكذا حالهم ، وتلك صفتهم .

٢- نفي كل نباهة يمكن أن تلحق بهم في الأصول ، والفروع حيث قال :

فما ضَربتْ للتيم في طيّب الثرى عروقٌ ولم تَنْبُت وريقا غصُونُها

٣- أنهم لا يقدرون الناس حق قدرهم ، ويمتنعون عن تقديم الشكر لهم ، كما أنهم لا يثورون لكرامتهم ، ولا يغضبون لحقوقهم فقال :

---

١ - شرح ديوان جرير ص ٦٩٢

٢ - ديوان نقائض عمر بن لجأ وجرير ص ١٠١ * الدمنة : آثار الناس * الماتحي : اسم موضع * عرفتها طويلا : أكثر من زيارتها * سكونها : بمعنى وجودها ههنا

وما شكرت تيمٌ لقومٍ كرامةً وما غضِبتْ تيمٌ على من يُهينُها

مستعينا على توضيح هذا المعنى بأسلوب النفي ، والتعبير بالفعل الماضي ليدل على أصالة تلك الصفة فيهم " شكرت – غضبت" بالإضافة إلى الخطاب التوجيهي الذي خص به التيم دون غيرها ، وتكراره تأكيدا .

٤- أنهم مشهورون في موطنهم بالخزي ، والعار يقينا وبلا شك فقال :

وإن تسألُوا يا تيمُ عنكُمْ تحدّثوا أحاديثَ يُخزيكمْ بنجدٍ يقينُها

مستخدما الخطاب التوجيهي بالنداء " يا تيم " تخصيصا لهم ، وتحقيرًا من شأنهم .

٥- صرّح جرير بأنهم إنما يبتغون من خلال سبه وقومه ، أن يصبح لهم ذكْر ، فقد تحقق لهم ما يريدون إلا أنه ذكْر سيئ معيب فقال :

وإن تبتغوا يا تيمُ ذِكْراً بشتمنا فقد ذُكرتْ تيمٌ بذِكرٍ يشينُها

فقدم لحديثه بمقدمة أتبعتها نتيجة ، فسلك طريق الإقناع بالحجة العقلية .

٦- وصفهم جرير بأنهم لخستهم لم تشملهم دعوة إبراهيم ، كما أنهم ليسوا من جنس بني آدم ، ولم يُخلقوا من طينته الشريفة فقال :

ولم يَدْعُ إبراهيمُ في البيت إذ دعا لتيمٍ ولا من طين آدمَ طينُها

مستندا في تأكيد المعنى على ما هو أقوى من عمر وقومه ، والبشر جميعا ، إذ افترض لكلامه سنداً تاريخياً ، ودينياً .

٧- حاول جريرفضحهم ، وفضح نسائهم بما يُلحق بهم الخزي والعارحيث قال :

وما رضِيتْ تيْميّةٌ دينَ مسلمٍ ولكنْ على دينِ ابنِ الغَز دينُها

مشيرا "بابن الغز "إلى العمرانيين من بني عمران بن الفضل بن علي أحد سلاطين صنعاء كان معروفا بالقوة فيقال في المثل " فلان أنكح من ابن الغز " [1] ومقصود الشاعر بالطبع الطعن في أعراض نسائهم .

٨- وصفهم بأنهم يخالفون السجية العربية التي تنتقم لثأرها ، وتهب لفك أسيرها فقال :

وإن دماء التيمِ لم تُوفِ عنهُمُ دماء ولا يُوفي برهنٍ رهينُها

مستخدما صيغة التنكير " دماء " للتكثير ، فما أكثر تفريطهم في دمائهم ، فلا كرامة لديهم كغيرهم ممن يفتخرون بالأخذ بثأرهم .

٩- عمر وقومه لا يُنتظر منهم خير ، فدعا عليهم بقوله " شُلت يمينهم "

ألا إنما تيمٌ فلا ترجُ خيرَها شمالٌ بها خبْلٌ وشُلّتْ يمينُها

١٠- خزيهم مشهور معروف قديم في العرب ، ولا يهتمون بذلك ، ولا ينتفضون له ، فصار جبلة وطبيعة فيهم فقال :

لقد طال َ خزيُ التيمِ غير مهيبةٍ وآنُفُ تيمٍ لم تُفقّأ عيونُها

فاستخدم لتوضيح هذا المعنى حرف التحقيق " قد " والفعل الماضي " طال " وجملة الاعتراض " غير مهيبة " والزيادة في المبنى زيادة في المعنى في قوله: " تفقّأ" كلها تؤكد إلحاق الخزي والعار بهم .

١١- إنهم لحقارتهم وعدم كرامتهم يشبهون الخنزير بما عُرف عن هذا الحيوان من محو نخوته على أنثاه إضافة لنجاسته ، وقذارته فقال :

ألا إنما تيمٌ خنازيرُ قريةٍ طويلٌ بجيئات* السوادِ عُطُونُهَا*

١٢- كما أنهم يخالفون السنة المتبعة في الخلائق فكل مخلوق يدافع عن أمه بفطرته ، أما هؤلاء فحالهم مختلف فعندما يتعرضون للمهالك يضحون

١ - لسان العرب مادة غ. ز. ز

بأمهاتهم بدلا من تقديم الفداء لهن وفقاً لما فُطرت عليه الخلائق فقال موضحاً:

ولو ظَمِئ التيميّ لافْتَظَ أمّهُ* إذا أبصرَ المَومَاةَ غُبراً صُحونُهَا[1]

من ناحية أخرى حاول عمر بن لجأ جاهداً أن يرد على جرير هجاءه ، ويقلب المعاني عليه فقال موضحاً ذلك بعد أن أطال في حديث الأطلال ، وما أصابها فإذا به يستخدم أداة الاستفتاح " ألا " للانتقال من حديث الطلل لحديث الهجاء ، وهو بذلك متبع لا مبتدع ، فتلك سنة متبعة لدى كثير من الشعراء ، كما أنه تبع بذلك طريقة جرير في بداية القصيدة التي ينقضها بهذه الأبيات فقال :

ألا تلك يربوعٌ تنُوحُ كهولُها على ابن وثِيْلٍ * حين أعيا هجينُها*[2]

وعندما أراد عمر أن يدفع عن نفسه وقومه ما رماه به جرير من أنهم لا كرامة لهم ، ويفتقدون الشهامة والنخوة العربية [3] اعتمد في الرد على ذلك بعدة معان ، مستخدما بعض الأساليب الحجاجية التي تثبت صحة ما يقول فأوضح أن جريراً وقومه :

١- لا يدافعون عن محارمهم ، ولا يحفظون أعراضهم ، وهم بذلك فقدوا أهم مقوم للشخصية العربية الأبية ، وتلك سُبة ما بعدها سُبة ، وخزي ما بعده خزي وعار ، فقال :

أهنتُ جريرَ ابن الأتانِ وقومَهُ وأحسابُها يومَ الحفاظِ تُهِينُها

فاستخدم الخطاب التوجيهي بذكر اسم المهجو صراحة " جرير " وبذكر ما اشتهر به من لقب " ابن الأتان " بكل ما يحمل من معنى

---

١ - شرح ديوان جرير ص ٦٩٣* الجيئات : مستنقع الماء * العطون : من عطن البعير روى ثم برك* افتظ أمه : شقها وشرب ماء كرشها .

٢ - شرح ديوان جرير ص١٠٢* ابن وثيل : أراد سحيم بن وثيل الرياحي الشاعر ، وكان سحيم قد عاقر غالب بن صعصعة أبا الفرزدق بصوأر فقمره غالب * الهجين : العربي بن الأمة ، وقيل الهجين : الذي أبوه خير من أمه .

٣ - تناول عمر هذا المعنى في قصيدة مطلعها :
ألم تُلْمم على الطلل المحيل بغربي الأبارق من حقيل
- ديوان نقائض عمر بن لجأ وجرير ص ٤٢

الخزي ، والعار، مؤكداً أصالة تلك الصفات فيهم عندما اختارزمن التعبير عنها بالفعل الماضي " أهنتُ" وقال أيضا :

مُردّفَةٌ تدعوكُمُ وشِمالُها بخِلْفٍ وفي إثْرِالهُذَيلِ يمينُها[1]

فالصورة ناطقة بحال نسائهم السبايا ، وهن يذقن ويلات الأسر والسبي يطلبن النجدة ولا مجيب ، يؤكد ذلك من خلال الاعتماد على الإشاريات الزمانية ، والمكانية عندما ذكر للمهجو بعض أيامهم التاريخية التي لا ينكرها أحد ، فذكّره بيوم الحرائر وما حدث فيه بقوله :

فلو غِرْتُمُ يومَ الحرائرِ لمْ تَرُحْ مع القوم أبكارُ النساءِ وعُوْنُها[2]

وقال في نفس المعنى :

تصُونُ حمى أحسابِ تيمٍ حياؤها وأحسابُ يربوعٍ سُدى ما تصُونُها

فاعتمد أسلوب المقابلة إظهاراً للمعنى ، وتوضيحاً له فجعل " تصون " في مقابل " ما تصون " و" أحساب تيم " في مقابلة " أحساب يربوع " و شتان مابين الصورتين والحالين ، وفي نفس المعنى يقول :

وأبناءُ فُرسانِ الكُلابِ وأنتمُ بنو مُرْدَفاتٍ ما تجفُ عُيُونُها

فتأكدت صورة الخذلان ، وعدم النصرة من رجالهم لنسائهن اللاتي لا تجف عيونهن عن البكاء ؛ لما لحق بهن من الخزي ، والعار.

٢- جعل جريرابن لجأ وقومه ممن لم تشملهم دعوة إبراهيم ، ولا يدخلون في ملة الإسلام ، فإذا بعمر يرد عليه قوله ، محاولا أن يقلب المعنى على صاحبه ، وزيادة فقال :

---

١ - المصدر السابق ص ١٠٤ * المردفة : المرأة السبية ، أردفها الفارس خلفه * الهذيل : بن هبيرة التغلبي

٢ - المصدر السابق نفس الصفحة * يوم الحرائر: من أيامهم ، والحرائر اسم موضع تلقاء صبح ، وصبح بلد لبني فزارة * العون : المرأة الثيب .

لعمْركَ ما تدْري كُلَيْبٌ من العمى على أيِ أديانِ البريةِ دينُها

فأقسم تأكيداً للمعنى ، وإثباتاً لصدق حديثه ، وأخرجهم من دين الإسلام وغير الإسلام ، فكان معناه أعم وأشمل من معنى جرير، معتمداً في ذلك على عمى البصيرة الذي لا يهديهم طريق الرشاد .

٣- عندما أخرجهم جرير من ذرية بني آدم ، أخذ عمر ذات المعني ، وزاد عليه بأن جعل جريراً وقومه من أخبث طينة بني آدم فقال :

وكلُ امرئٍ من طينَ آدمَ طينُهُ ويربُوعُكُم من أخبثِ الطينِ طينُها

مستخدما توجيه الخطاب تهكماً وتحقيراً " يربوعكم" وصيغة التفضيل " أخبث " نكاية ، واستهزاء بهم .

٤- وأضاف عمر أنهم للؤمهم ، وخسة أصلهم لا كرامة لهم فقال :

فألأمُ أحياء البريةِ حيّهُا وأخبثُ مَن تحتَ الترابِ دفينُها

فهم "ألأم " و" أخبث " تفضيل في الصفة ، والوصول بها إلى غايتها ، فيدخل فيها ما هو أقل منها في الصفات ، وما كان عكساً لها منفيا عنهم ، وفقا لقانون السُلم الحجاجي .

٥- أضاف عمر على ما قاله جرير سباً وفحشاً شديداً بنساء يربوع ، ووصفهن بصفات تنأى عن الحياء والأدب ، بما لايليق بحق النساء إماء وحرائر .[١]

وأرى معاني جرير التي حشدها لنفي الكرامة ، والشهامة عنهم ، كانت أدق ، وأعمق ، وأشمل ، وأكثر تفصيلا ، وأسلس لفظاً ، أما عمر فكان جوابه باهت ، ومعانيه واهية ، وإن حاول استخدام المؤكد ، والقسم لإثباتها ، وحشده للفحش بنساء يربوع لا يشكل قيمة فنية فهو مجموعة من السب ، والشتم لا تظهر من

١ - راجع : ديوان نقائض عمر بن لجأ وجرير ص ١٠٤، ١٠٥

خلالها براعة فنية مؤثرة ، في حين نأى[1] جرير بنفسه عن مثل ذلك ،وأذكر أنه تم تفضيل شعر الأخطل على غيره ؛ لأنه لم يعتمد في هجائه على الفحش بالنساء وظهر ذلك في قوله : ما هجوتُ أحداً قط بما تستحي العذراء أن تنشد أباها .

ويحمد لعمر تلك الصورة التي جسّد فيها كل معاني الخذلان من رجال يربوع تجاه نسائهم عندما كن يطلبن الغوث والنجدة أثناء وقوعهن في الأسر ، فإذا برجال يربوع يخذلونهن ، ولا يستجيبون لاستغاثتهن .

١ - الأغاني ٨/ ٣٠٠

(الخاتمة)

إن المزج بين التراث الشعري العربي والدراسات النقدية الحديثة يؤكد أن الصلة بين الماضي والحاضر مازالت قائمة ، كما أن هذا المزج يجعل من الأعمال الأدبية خلْقا جديداً ، وبعثاً متجدداً، فإذا بالتراث الأدبي يثبت وبقوة أن عطاءه لا ينفد ، وما زال في جعبته الكثير من الكنوز التي تستحق بذل الجهد ، والوقت للتنقيب عنها ، واستخراج لآلئها .

ومن خلال رحلة البحث في النقائض الشعرية ، هذا اللون الشعري الذي يدعو إلى العجب والدهشة من ألفاظه ، وأساليبه ، وصوره وأخيلته ، والأجواء المصاحبة له ، وما أحدثه من زخم في الوسط الشعري على يد شعراء حملوا رايته من البداية وحتى النهاية ، فأصبح يُذكر بذكرهم ، ويُنسب إليهم .

ثم من خلال النظر في تلك الدراسات النقدية الحديثة التي تُلقي بظلالها ، وتفرض نفسها على ساحة البحث العلمي ، وتقدم كل يوم المزيد من الأفكار والرؤى التي تعبرعن فكر جديد مستنير يربط بنسيج قوي بين نقاد الشرق والغرب ، فتلتقي الأفكار ، وتتفاعل الآراء بما يدفع بحركة النقد الأدبي إلى الأمام ، في ظل دراسات حديثة تمد النقد الأدبي بروافد جديدة ، وإضافات لاشك مثمرة .

ومن خلال الإيمان بضرورة الاستفادة من الدراسات النقدية الحديثة ، وربطها بالتراث الأدبي القديم كانت ثمرة هذا البحث الذي خلصتُ فيه إلى النتائج التالية :

أ- تأكدت من خلال البحث في المصادر ، والمراجع التي تحدثت عن الشاعر عمر بن لجأ : أن حياته يكتنفها كثير من الغموض ، وما ورد عنه سوى سطور تناقلتها كتب التاريخ الأدبي ، وأن الحديث عنه مرتبط دائما بالحديث عن جرير ، كما أن شعره موقوف على ما قاله في هجاء جرير أو في نقض قصيدة لجرير ، وما عداه لا يعد سوى أبيات متفرقات لمعان شتى لا تكشف عن قيمة شعرية تستحق البحث والدراسة .

ب- ما تم جمعه من شعر عمر بن لجأ يمثل أهمية كبيرة ؛ لكونه يدخل في عصر الاحتجاج ، إلا أنه لم ينل حظه من الشهرة والذيوع كغيره من شعراء النقائض المشهورين .

ت- تعد نقائض عمر بن لجأ خطاباً حجاجياً كاملا حيث يقوم عمر بدراسة قصيدة جرير ، ودراسة الأدلة التي يواجهه بها ، والتي من خلالها يحقق إسقاطه اجتماعياً .

ث- تقوم نقائض ابن لجأ على إستراتيجيتين مهمتين في الحجاج : الأولى : إستراتيجية البناء ، والأخرى إستراتيجية الهدم ، أو بمعنى آخر الإستراتيجية التضامنية ، والأخرى الإستراتيجية التوجيهية .

ج- نقائض عمر بن لجأ تقوم على التفاعل الحواري ، وهو ما يسمى لدى التداوليين بالفعل التأثيري ؛ ذلك لأن جريراً عندما نظم قصيدته تصور ردة فعل عمر تجاه كلامه فصاغ على إثر ذلك خطابه .

ح- المخاطب في شعر النقائض " جرير – المجتمع " هو الغائب الحاضر ، فكل منشئ يعبرعن ذاته ولا يكتب لها ، ؛ لذا وجدنا بعض النقاد يعتبرون المتلقي " المخاطب " المبدع الثاني ، واعتبروا ما يوجهه عمر لجرير بمثابة الحجاج الإقناعي ، بينما ما يوجهه عمر للجمهور والمجتمع يعد حجاجاً اقتناعياً .

خ- كل من جرير وعمر يستخدمان من الألفاظ والأساليب ، والصور والأخيلة ما يعد وسيلة لإظهار التفوق لكسب تأييد المتلقي ، ومحاولة إقناعه ، وهو المسمى في الدرس التداولي بمبدأ الكيف .

د- المقاربة التداولية تضرب بجذورها في التاريخ النقدي العربي ، وإن لم تستخدم بنفس مصطلحاتها الحديثة ، وهذا ما أثبه البحث ، وأكد عليه .

ذ- التزم جرير وعمر استهلال قصائدهما في الهجاء بالحديث عن الأطلال ، والأيام الخوالي ، والعشق والهوى ، ولم يُستثنَ من ذلك إلا قصيدة واحدة لجرير ، ونقيضة واحدة لعمر كانت البداية فيهما بالهجاء مباشرة .

ر- تلك المقدمات الغزلية والطللية لدى الشاعرين أثبتت أن معاني جرير في الغزل والطلل ، والألفاظ المستخدمة فيهما هينة لينة بينما معاني عمر وألفاظه خشنة ، ومستوحاة من البيئة البدوية الصحراوية بما لا يُلائم طبيعة الغرض الشعري .

ز- هناك معان بدأها جرير - والفضل للمتقدم - وأخذها منه عمر ، وزاد عليه إمعاناً في وصفهم بالحقارة والذل .

س- تفوق عمر على جرير في نفي النباهة ورفعة الشأن عنه وعن قومه ، فقلب المعنى على صاحبه وزاد عليه باستخدام الأدلة التقنية ، والصور الساخرة .

ش- تفوق جرير على عمر في الطعن في نساء التيم من خلال رجالهن الذين لا يدافعون عنهن ، أما عمر فاعتمد على الفحش والسباب ، والصفات القبيحة ، وتفوق جرير إنما يرجع لأنه أدرك أن المعركة الحقيقية ليست بينه وبين نساء التيم بقدر ما هي بينه وبين رجالها ، فغمزهم بما يحط من أقدارهم ، ويطعن في رجولتهم ونخوتهم .

ص- حشد جرير ، وعمر ما وسعهما من أساليب الحجاج اللغوية ، والتصويرية ، والأدلة المقننة ، والإستراتيجية التوجيهية ، والاستلزام الحواري ، والتناص الحجاجي ، والإشاريات الزمانية والمكانية والتاريخية لإسقاط الخصم والنيل منه .

ض- تفوق جرير على عمر عندما وصفه وقومه بالعبودية ، فوازن بينهم وبين غيرهم مستدلاً على عبوديتهم بما اشتُهر عُرفاً ، وعادة من اختصاص سواد الجلد – غالبا- بالعبيد ، وذاكراً ما كان من أمرهم مع سُراة اليمن الذين دانوا لهم بالولاء والطاعة ذلاً وانكساراً ، ومعتمدا في بيان أوصافهم على السُلّم الحجاجي ، فأقام عليهم الحجة ، وأكدها بالبرهان والدليل العقلي القاطع .

ط- استنفد جرير كل طاقته في وصف عمر وقومه باللؤم فلم يدع لعمر طريقاً يسلكه ، فالتفوق ظاهر له لا محالة ، سواء من حيث الأفكار

المطروحة ، أو من خلال الأساليب الحجاجية الموظفة لخدمة المعنى المقصود .

ظـ لجرير قدرة هائلة على هجاء كل من الفرزدق ، والأخطل ، والبعيث ، وابن لجأ في قصيدة واحدة بأن جعلهم مثلاً وعبرة أمام عمر وغيرعمر ممن تجرؤوا على هجائه .

ع- كان عمر يتكئ على معاني الآخرين ، وخاصة جرير ، ويضمنها شعره ، وكذا ألفاظه وتعبيراته من باب التناص الحجاجي ، كما كان بعض الشعراء يسعفونه بأبيات تساعده على هجاء جرير، مما يؤكد صحة ما ذهب إليه ابن سلام الجمحي من أن التيم كانوا يرفدون عمر ابن لجأ بأبيات من الشعر تعينه على هجاء جرير .

غ- لعمر بن لجأ معان ، وصور تُحسب له ويُظهر فيها تفوقه ، منها تلك التي وصف فيها نساء يربوع وهن يطلبن الغوث ، والنجدة من رجالهن بعدما وقعن في الأسر، فكانت الصورة معبرة ، والمشهد ناطقاً بكل معني الذل ، والقهر والخذلان .

ف- اعتمد عمر في هجائه لجرير على صيغة المبالغة بشكل كبير، فكان يأخذ المعنى من جرير ، ويقلبه عليه ، ويبالغ فيه محاولا بذلك إثبات تفوقه ، وانتصاره عليه .

وبعد.... فمازلتُ على يقين أن لدى التراث الأدبي الشعري والنثري الكثير والكثير، خاصة عن طريق الربط بينه وبين الدراسات النقدية الحديثة التي تُحيله خلقاً جديداً ، فقط نحتاج من الباحثين مزيداً من الصبر ، والعزم على مواصلة الجهد ، والعمل بجد واجتهاد في حقل الدراسات الأدبية والنقدية ، كما أوصيهم بالآتي :

أ- في شعرعمر بن لجأ جوانب تستحق الوقوف عندها ودراستها مثل: الوقوف على سرقات عمر من شعر غيره وخاصة شعر شعراء النقائض ، وبالأخص شعر جرير ، ويمكن ربط هذا الموضوع

بجانب من الدراسة الحديثة فيهتم الباحث بدراسة التناص في شعر عمربن لجأ .

ب- كما أن معجم الشاعر اللغوي ، والأسلوبي يحتاج الوقوف عنده ببحث مستقل يبين الباحث من خلاله خصائص اللغة ، والأسلوب في شعر عمر ابن لجأ التيمي .

ت- وكذلك الموسيقى الشعرية في قصائد عمر تحتاج بحثاً مستقلاً يدرس فيه الباحث كيف وظّف عمر موسيقاه لخدمة المعنى المتناول في القصيدة ؟ وكيف جعل من الموسيقى الخارجية والداخلية أداة طيّعة لتوضيح ما يقصده ، وما يريده ؟ مضيفاً إلى ذلك تفوق عمر في الرجز كتفوقه في القصيد فقد شهد له الجاحظ بذلك في البيان والتبيين .

ث- هناك شعراء لهم باع في شعر النقائض ، ولكن لم يأخذ شعرهم حقه في الدراسة الأدبية والنقدية ، أمثال سُراقة البارقي ، فشعره جدير بالبحث والدرس ، وما تم في دراسة شعره مازال ينقصه الكثير .

والله أسأل أن يُوفّق الجميع لمَا يُحب ويَرضَى

(فهرس المصادر والمراجع)

الأعلام – الزركلي – ط- دار العلم للملايين – بيروت – لبنان

الأغاني – الإصبهاني – تحقيق – إبراهيم الإبياري –ط- دار الكتب – مصر

الأفعال الكلامية ووظائفها التداولية – دراسة نصية في ضوء نظرية التلقي د/ محمد راضي – ط- دار المنظومة

البيان والتبيين – الجاحظ – تحقيق د/ عبد السلام هارون –ط- مكتبة الخانجي – مصر

تاريخ الأدب العربي – العصر الإسلامي – د- شوقي ضيف – ط- دار المعارف – مصر

تاريخ النقائض في الشعر العربي –د/ أحمد الشايب – ط- مكتبة النهضة المصرية –ط- الثانية ١٩٥٤

التداولية أصولها واتجاهاتها – جواد ختام –ط- كنوز المعرفة – ط- الأولى ٢٠١٦-عمان الأردن

التداولية والشعر – قراءة في شعر المديح في العصر العباسي – د/ عبد الله بيرم – ط- دار مجدلاوي – عمان الأردن

التلخيص في علوم البلاغة – الخطيب القذويني – شرحه الأديب عبد الرحمن البرقوقي – ط- دار الكتاب العربي – بيروت

الحجاج في الشعر الغربي – بنيته وأساليبه – د/ سامية الدريدي – ط- عالم الكتب الحديثة – الأردن

دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني – شرحه وعلق عليه د/ محمد التنجي – ط- دار الكتاب العربي – بيروت

ديوان عمرو بن كلثوم – ط- دار صادر – بيروت

ديوان نقائض عمر بن لجأ وجرير – تحقيق – د/ نبيل عسّاف –ط- دار صادر – بيروت – لبنان – ط الأولى ٢٠١٥

شرح ديوان جرير – ضبط معانيه وشرحه وأكملها – إيليا الحاوي – ط- الشركة العالمية للكتاب – بيروت – لبنان –ط- الثانية

شعر عمر بن لجأ التيمي – تحقيق – د/ يحيى الجبوري –ط- دار القلم – الكويت –ط- الثالثة

الشعر والشعراء – ابن قتيبة الدينوري – تحقيق – د/ مفيد قميحة - ط- دار الكتب العلمية – بيروت

طبقات فحول الشعراء – ابن سلام الجمحي – تحقيق – د/ محمود شاكر – ط- المدني – القاهرة

العين – تحقيق د/ مهدي المخزومي – إبراهيم السامرائي – ط- دار ومكتبة الهلال

فحولة الشعراء – الأصمعي – تحقيق – توري – صلاح الدين المنجد – ط- دار الكتاب الجديد

في أصول الحوار وتجديد علم الكلام – د طه عبد الرحمن – ط- المركز الثقافي العربي –ط- الأولى ١٩٨٦ الدار البيضاء

في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات – د/ عبد الله صولة – ط الشركة التونسية

لسان العرب – ابن منظور المصري – ط- دار صادر – بيروت

معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين – د/ عفيف عبد الرحمن – ط- دار العلوم – ١٩٨٣

مفتاح العلوم – السكاكي – ط- دار الكتب العلمية – بيروت

منتهى الطلب من أشعار العرب – محمد بن مبارك – تحقيق - محمد نبيل طريفي – ط- دار صادر – بيروت

منهاج البلغاء وسراج الأدباء – حازم القرطاجني – تحقيق – محمد الخواجة – ط- دار الغرب الإسلامي – بيروت

النوادر في اللغة – أبو زيد الأنصاري – تحقيق – محمد عبد القادر أحمد- ط- دار الشروق ط- الأولى

(الرسائل الجامعية)

الآليات الحجاجية في المعلقات – معلقتا عمرو بن كلثوم وزهير بن أبي سلمى أنموذجا – ماجستير- هناء لبيهي – كلية الآداب الجزائر

الحجاج في شعر النقائض – دراسة تداولية – نقيضة للفرزدق ونقيضة لجرير نموذجًا – مكلي شامة – ماجستير – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – الجزائر ٢٠٠٩

الخطاب في شعر النقائض – نقائض جرير والفرزدق دراسة تداولية – ماجستير – إعداد – جبارية مصطفاوي – كلية الآداب جامعة محمد خيضر – الجزائر ٢٠١٦

صورة المهجو في شعر النقائض – لؤي موفق – ماجستير – جامعة جرش – كلية الآداب – ٢٠١٥

محاضرة التداولية – أ عموري السعيد – مشروع بحثي – جامعة بجاية – الجزائر

(المجلات والدوريات)

الألفاظ الدالة على الطبيعة السماوية في شعر عمر بن لجأ التيمي – دراسة معجمية – د/ محسن حسين – مجلة التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية – جامعة بابل العدد ٢٢- ٢٠١٥

البعد البلاغي في شعر جرير الهجائي – دراسة بلاغية ونقدية – د/ عبد الكريم حسين – مجلة حضرموت العدد الأول يناير ٢٠١٣

(مقالات على موقع الشبكة العنكبوتية)

أنساب العرب – الموسوعة الشاملة

شعر عمر بن لجأ – فالح حاجية